الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي _تيسمسيلت_
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

دراسة كتاب:

حب ابن أبي ربيعة وشعره

لـ "زكي مبارك"

أدب عربي قديم تخصص:

إعداد الطالبة:
- شهبار أسماء
- خلال حبيبة

إشراف الأستاذة:
- ✓ د. بن حنيفة فاطمة

لجنة المناقشة

الدكتور	فايد محمد	رئيـــــسا
الدكتورة	بن حنيفة فاطمة	مشرفا ومقررا
الدكتورة	بغالية هاجر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

2021/2020م –1441/1440هـ

كلمة شكر وعرفان

إلى من سكنت حواسي وإحساسي وهامت بها نفسي، إلى التي رسمت أول حرف من حروف الحب على وجه قلبي بيد جمالها وطهارة قلبها وروحها، إلى التي علمتني الحياة وبهجة الوجود، وفتحت عيني نحو آفاق كنت أجهلها، إلى التي عانقت روحها روحي فكانت واحدة، إلى هبة الرحمان ومنبع الحنان "**أمي الغالية**"

إلى الذي يستحق أن يكتب اسمه قبل اسمي بحروف من ذهب، إلى الذي امتزج قلبي بقلبه فكان واحدا لا ينفصلان، إلى الذي كان حبه آمال هدهدت نفسي ودفعتني إلى السير في الصراط المستقيم، إلى بهجتي وجنتي في الأرض"**أبي الغالي**".

إليهما أهدي هذه الصرخة التي أنتزعها من أعماق قلبي الذي تغنى بآمال الحب.

إلى من بنيت معهم قصر أحلامي وآمالي: إخوتي: "**بوعلام، نعيمة، زهراء، نصيرة، نور الهدى، إلى** زوجة أخي العزيزة:" **عفاف**".

إلى طيور الجنة الكتاكيت الصغار الدلوعة أصغر أفراد العائلة: "**إياد، نذير، قصي**".

إلى الورود التي عطرت سجل ذكرياتي صديقاتي أصدقائي:" **أسماء، لمياء، فاطمة الزهراء**.

صدق الذي قال:"إذا عجزت يداك عن المكافئة فلا يعجز لسانك عن الشكر"، وبهذا تحية عطرة مفعمة بالتقدير إلى أستاذتي المشرفة والقديرة" **بن حنيفية** "، التي كانت خير السند ونعم الموجه لنا إلى من نسيت ذكرهم الله لا ينسى أجرهم.

إهداء

ما كان لبحثنا أن يكون لولا تظافر الجهود التي عملت يدا واحدة، كان همها الوحيد هو أن تخرج إلى النور عملا لن نصفه بالكمال لأن الكمال للخالق الواحد، إلا أن قلمنا أبى إلا أن يخط حروفا هي حقا قليلة لي حق هؤلاء.

فنقول بعدد نجوم الليل وبقدر موجات البحر، وحصى رمال الصحراء، بعدد دقات القلب، نقول لكم أنتم عمال "جامعة تيسمسيلت"، ونخص بالذكر الأستاذة القديرة" بن حنيفية" وهي نعم المشرفة لنا وكل الأساتذة: "**تواتي خالد، فايد، عطار، فتح الله**".

أنتم النور الح أنار دربنا، أنتم الطريق المستقيم الذي خطته خطواتنا، أنتم الرسل الذين وجهوا لنا رسالة" اقرا"، فصارت دراستنا وأخلاقنا هي سبيلنا نحو الآفاق المستقبلية.

شكرا جزيلا لكم على المساعدة، على النصيحة، على كل شيء.

شكرا لأنكم كنتم العون والسند لنا.

رعاكم الله وحفظ لكم أزواجكم وذرياتكم، وصان مالكم وزاد من خيركم.

يا من كنتم أبا وأما لنا، أختا وأخا سندا اتكأنا عليه خلال مشوارنا الدراسي، وجعلتم منا أساتذة وأطباء ومحامين.

بفضل الله وبفضلكم صرنا هكذا، وستصير الأجيال القادمة مثلنا أو أفضل منا إن شاء الله، فنحن لن ننسى معروفكم هذا ما دمنا أحياء.

وفي الأخير نقول عذرا إلى كل من سها عنهم هذا القلم، ولكن حفظهم القلب.

إهداء:

بأنامل بقلم أعياه النغب والأرق ولا يقوى على الحراك ليتأكد على قطرات حبر مملوءة بالحزن والفرح في آن واحد أنه ما أجمل أن يجود المرء بأغلى شيء يملك والأجمل من أن يهدي الغالي للغلى هي ذي ثمرة جهد جنيتها اليوم وما يسعى أمام بهجتي هذه إلا أن اتقاسمها مع من كانوا أكبر سند لي.

– إلى منبع الحنان وموطن الأمان إلى غاليتي إلى من حملتني وهنا على وهن واستقبلتني بدمعتها وفرحتها، إليك يا نوري في الدنيا، وشفاعتي في الآخرة يامن جعل الله الجنة تحت قدميك إليك أمي عزيزتي أطال الله في عمرك أحبك.

– إلى معلمي الأول وأستاذي ومرشدي وسندي في الحياة، نور عيني وقدوتي، ومصدر قوتي وأملي...إلى من احمل اسمه بكل فخر واعتزاز لك من اسمي عبارات الحب والاحترام، يا من ربيت أجيالا يا أروع نعمة وهبني إياها الله أبي الحبيب حفظك الله "أحبك ".

– إلى من قاسمتني عبء الأيام وسهر الليالي أختي عزيزتي " سارة " وفقك الله وإلى إخوتي أحبتي "أمين– تقي الدين " "أحبكم ".

– إلى من شاركتني جهد وعناء هذه المذكرة صديقتي ورفيقتي الرائعة خلال حبيبة.

– إلى أروع الصديقات إلى الذين أحببتهم وأحبوني (لامية — فاطمة الزهراء — أمال — إيمان —روميسة).

– إلى من تسرهم فرحتي جدتي خالتي العزيزة وخالي بنات خالتي "حنان، رتيبة، خديجة، سليمة، لامية، وإلى الكتاكيت الصغار الآء، نور سين، أسيل، وإلى عائلة شهبار.

– تحياتي إلى الدكتورة المشرفة (بن حنيفة فاطمة) كل الجهود المبذولة وإلى أساتذتي من الابتدائي للجامعة.

–تحية خاصة إلى كل من سأفتقدهم ولا أنساهم.

– إلى من ساعدنا في طبع هذه المذكرة إلى كل من يعرف أسماء من قريب أومن بعيد.

بطاقة فنية

بطاقة فنية للكتاب:

المؤلف: زكي مبارك .

المؤلف: حب ابن أبي ربيعة وشعره .

البلد: القاهرة .

السنة : 2012 .

حجم الكتاب: متوسط .

عدد الصفحات: 229 صفحة .

– قسم زكي مبارك لمتابعة إلى مقدمة وفي طياته العديدة من العناوين

– كانت البداية بكلمة نقد موجهة لحضره الباحث الدكتور طه حسين وكلمة لزكي مبارك في طبعته الأولى، وأما العناوين الأخرى احتوت العناصر التالية:

– من النفس إلى النفس

– مقدمة الطبعة الثالثة (3)

– المحاضرة الأولى.

– المحاضرة الثانية.

– المحاضرة الثالثة.

– أخبار الملاح

– تأثير ابن أبي ربيعة في سواء اللغة العربية.

بطاقة فنية للكتاب:

أمّا العنوان الأخير فقد عنونه بالملح والفكاهات، بالإضافة إلى الهوامش والمراجع والكتاب يحتوي على دار نشر" مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة " و سنة 2012 و بدون طبعة.

مـــقدمة

مـــقدمة

شهد العصر الأموي الكثير من الشعراء الذين عرفوا واشتهروا بما قدموه من إبداعات شعرية أمثال: جميل بن معمر العرجي... فراحت الحياة الأدبية في تطور واسع من مختلف مناحيها ومن بين هؤلاء الشعراء "عمر ابن أبي ربيعة" الذي انفرد دون غيره من الشعراء بشهرة لا مثيل لها.

يعد شعر عمر ابن أبي ربيعة علامة مميزة في سماء الشعرية العربية القديمة نظرا لما يلف نصه من حساسية اجتماعية وجمالية، وقد جعله ذلك يرسى أسسا متينة لشعر الغزل والحب، فكانت قصائده تمثل وثيقة تاريخية وأدبية تصور مستوى واقع الحياة في تلك الفترة، ومما زاد شهرته هو الغزل الذي خرج به عن مألوف عصره، بذلك النوع الجديد الذي استحدثه وإبداعه لعناصر ومقومات فنية جعلت القصيدة الغزلية تتغذى بنسغ جديد، فتزعم شعراء الغزل الصريح دون منازع واستأثر بعناية النقاد قديما وحديثا وأقبلوا على شعره يتدارسونه، مما دفعنا إلى تناول الموضوع الموسوم ب: "حب ابن أبي ربيعة وشعره" إضافة إلى إعجابنا الشديد به وبأساليبه المتنوعة في شعره وحبنا لشعره علنا نجيب على بعض الأسئلة التي كانت تراودنا بصدده: ما صورة المرأة في شعر عمر ابن أبي ربيعة؟ وهل نصوصه ارتقت فعلا إلى مستوى شعرية شعراء العرب؟ وما مناحي التجديد في شعره؟ فهي أسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها من خلال خطوات البحث المتمثلة في الخطة التالية: مقدمة للبحث ومدخل وفصلين كل فصل كرسنا له مبحث وثلاثة مطالب فأما:

الفصل الأول الموسوم ب: "المحاضرة الأولى"، والمتضمن ثلاث مطالب لخصنا فيها ما أوتي في الكتاب من عنوان: من النفس إلى النفس والمحاضرة الأولى والثانية والثالثة مرورا إلى المبحث الثاني المعنون ب: نوادر وأخبار عمر ابن أبي ربيعة، اندرج تحته ثلاث مطالب لخصنا فيها: الملاح وتأثير عمر وشعره في شعراء اللغة العربية والملح والفكاهات، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه الغزل في شعر عمر ابن أبي ربيعة واشتمل هذا الفصل مبحثين فالأول المعنون:" بالحب في شعر

عمر" تضمن ثلاث مطالب تطرقنا فيهم إلى سيرة وحياة عمر ثم صورة المرأة في شعره وأنهيناه بمطلبه الثالث الموسوم ب: "الحسية لي شعر عمر"، مرورا إلى المبحث الثاني المعنون ب: "المقومات الفنية في شعر ابن أبي ربيعة"، فجعلناه في ثلاثة مطالب، حيث تناول المطلب الأول تأثير عمر في اللغة العربية وكان المطلب الثاني لدراسة خصائص شعر عمر والمطلب الثالث منه لنقد الشعراء شعره، إضافة إلى هذا ملحق تمثل في نقد وتقويم الكتاب مع ذكر قيمته الفنية والعلمية وخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم قائمة المصادر والمراجع وكذا فهرسا للموضوعات.

متبعين المنهج الوصفي التحليلي معتمدين عدد من المصادر والمراجع للقديمة والحديثة منها الأدبية ومنها النقدية مثل الأغاني للأصبهاني والشعر والشعراء لابن قتيبة فضلا عن تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف وحديث الأربعاء لطه حسين ودراسة جبرائيل جبور التي تصدى فيها لعمر ابن أبي ربيعة وحياته وحبه وشعره.

وكطبيعة أي بحث فلا يخلو بحثنا هذا من صعوبات وعراقيل كثيرة أهمها ضيق الوقت المخصص، إضافة إلى كثرة الشواغل وصعوبة الحصول على المراجع ولا يسعنا في الأخير إلا أن نحمد الله عز وجل على إتمام هذا البحث المتواضع من أساتذة وزملاء بيد أني أقدم شكرا خالصا وخاصا لأستاذتي المشرفة التي كانت خير معين لنا بنصائحها وإرشاداتها والتي تبتسم في وجه كل طالب علم.

مدخل

نبذة عن الكتاب

والتعريف بالكاتب

نبذة عن الكاتب والتعريف بالكتاب:

من المعروف أنّ العصر الأموي هو العصر الذّي تميزت فيه البيئات العربية تميزا واضحا يقبل الجدل في جوانب الحياة جميعها ومنها الجانب الأدبي وجانب الشعر على وجه الخصوص ، وبيئة الحجاز في العصر الأموي من البيئات المميزة في جانب من جوانب حياتها الأدبيّة وهو شعر الغزل ، الذي اتجه به الشعراء اتجاها منفردا بارزا من خلال ظاهرتي الغزل. وبسبب تأثير عوامل بيئيّة مختلفة أشار إليها معظم دارسي الغزل في العصر الأموي.

التعريف بالكتاب :

يعدّ عنوان الكتاب مفاتحا لولج النص الأدبي وكشف أغواره ومجاهله ودلالته العميقة وأوّل ما قرع السمع ويجذب النظر، وعنواننا حب ابن ربيعة وشعره وأول ما يخطر على البال كلمة حب تعني التيتم والتعلق الشديد بالشعر أما دلالته عند الفلاسفة هو الميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة والسارّة ، وعمر ابن أبي ربيعة يعود نسبه لأهم قبائل مكة وهي قبيلة قريش من فرع بني مخزوم ، التي تعد من الذروة في قبائل مكة ،كان أبوه سيدا من سادات قريش، أمّا كلمة شعر فتوحي في معناها وتعريفها عند الفلاسفة على أنّه "كلام مخيّل "الذّي كانت بداية نشأته بتحريك قوة المخيّلة وفاعليتها عند المتلقي ، ويرتبط أيضا بمبدأ من مبادئ الفنّ الأساسيّة وهو الانتظام أما عند ابن طباطبا يربطه بصفة "الطبع والذوق "[1]، أما شعر عمر فتميّز بالغزل وحاول إتقانه ، وقصر شعره على التغزل بالمرأة والولع بجمالها أنّى وجدها، فكان جلّ شعره على وصف النساء من بنات عصره فمدح النساء وذكر جمالهنّ ، ووصف عواطف الوجد والشوق ولوعة الفراق ولذة الوصال .[2]

[1]- ينظر: جابر عصفور، دراسة في التراث النّقدي، ط5، 1995، ص30.

2- ينظر: أمقران شعبان ، غزل العباس ابن الأحنف وعمر ابن أبي ربيعة "موازنة وتحليل "، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، مسار أدب قديم ،كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي ابن المهيدي، أم البواقي، 2012-2011 ،ص 17 .

نلقي نظرة الآن على المظهر الخارجي للكتاب: حيث اتسم الغلاف بلون الأزرق الفاتح والعنوان في الوسط وعندما اختار زكي مبارك الواجهة بهذا اللون فانه يسعى إلى رسم معالم متخيل يوحي إلى الهدوء العاطفي والسعادة بالإضافة إلى معانيه المعقدة والمتناقضة ودلالته على تعزيز الاسترخاء الجسدي والعقلي فهو لون النظافة والقوة والاعتمادية ويجدر بنا أن نشير إن هذا اللون له وقع خاص في النفس، واحتوى الغلاف أيضا على ريشة كبيرة في الوسط وحبر، والريشة من أجنحة الطيور لدلالتها على الكتابة ولها قيمة كبيرة شكلا وفخامة، وتستخدم للكتابة باستخدام الحبر السائل قبل اختراع الأقلام الحديثة كأداة لأعمال الخط العربي لأنها توفر مزيد من المرونة وقوة في التحكم من الأقلام العادية ومن المظهر الخارجي والغلاف الأساسي ننتقل إلى خلفية الكتاب حيث أنّه يحتوي على دار وسنة نشر ولا يحتوي على طبعة .

التعريف بالكاتب :

زكي مبارك هو أديب وشاعر وناقد وصحفي مصري حاصل على ثلاث درجات دكتورة وولد الأديب في الخامس من أغسطس عام 1890 بقرية سنتريس بمحافظة المنوفية بأسرة ميسورة الحال توجه في طفولته إلى الكتاب وأدمن القراءة منذ كان في العاشرة من عمره أتم حفظ القران الكريم وهو في السابعة العاشرة حصل على شهادة الأهليّة من جامع الأزهر سنة 1912 وقرر بعدها أن يلتحق بكلية الآداب بالجامعة المصرية حيث تخرج وحصل على درجة ليسانس سنة 1921 وأكمل بعد ذلك دراسته العليا لينال درجة الدكتورة في الأدب من الجامعة ذاتها سنة 1923ولم يقف عند هذا، وبعد ذلك سافر إلى باريس والتحق بمدرسة اللغات الشرقية وحصل منها على دبلوم الدراسات العليا في الآداب سنة 1931.[1]

عاد زكي مبارك من باريس سنة 1931 وسافر إلى بغداد سنة 1938للتدريس في دار المعلمين العليا في بغداد ، وعمل طيلة هذه الفترة رئيسا للقسم العربي في الجامعة الأمريكية،

[1] -WWW. HINDAWI .ORG .JUIN . 23 :26.MERCREDI.

بالإضافة إلى كتابته في جريدة البلوغ ، وتميزت هذه الفترة من حياته الأدبية بالخصوبة ، وكان يعد رسالة الدكتوراه التي أحرزها في الفلسفة .

وتعد رحلة مبارك إلى العراق رأس مرحلة جديدة في حياته ،فبفضلها ازداد إيمانا بالعروبة ، ووسّع ثقافته وعمقها .[1]

ووصل مبارك مسيرته العلمية بالحصول على الدكتورة في الآداب من جامعة السوربوز سنة 1938 .

أمّا انتاجاته الأدبية من خلال مذهبه في النقد واتجاهاته الفنية وأول ما نعرضه له هو مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الأفكار سنة 1914 وكانت هذه المقالات عبارة عن صور وجدانية وأدبية واجتماعية وظل ينشرها تباعا حتى إخراجها في كتابه البدائع في جزء واحد، ثم واصل البحث والنشر حتى عام 1935حين اجتمع ما أمكنه أن يخرج به الكتاب في جزأين في طبعته الثانية التي أصدرها في نفس ذلك العام ولقد أوضح في هذا الكتاب إن الدراسة الحديثة لأدب تقتضي درس الحياة الاجتماعية قبل نقد أثار العقول وان يدرس سقط القول كما يدرس جيده وان يتبع الناقد حياة من ينقده من الأدباء ليرى كيف كانت ألوان نفسه في أشكال حياته .

وفي أغراض الشعر يذم المدح والتكسب بالشعر ولكنه مع ذلك يرى إن المديح هو ديوان العرب لان فيه صورة حياتهم وأخلاقهم مما يحين كما انه ينبغي على الشعراء الشعر المناسبات وما تقتضيه الحزبية السياسية ونحو ذلك من الشعر الذي تسيره الأغراض.

ويحاول زكي مبارك أن يدعم مذهبه بما ورد من عبارات صريحة عند القدماء تأبى الفوج الأصبهاني والأنوري والجاحظ ويرى إن الدين والأخلاق تأثيرا في إخماد الآداب والفنون فهو بأس لتحطيم العرب لأنصاب والتماثيل ويرى أن الآداب العربية لا تتقدم إلا إذا نظر الأدباء للمرأة في حرية وصراحة وتأثروا بجبروتها في ميدان الحياة لان الأدب هو روح هذه الحياة .

[1]- ينظر: أنور الجندي ، زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه "1892-1952" ،دط ، دت،ص 39-40.

الدوافع والقيمة العلمية :

وكان الدافع الذي أدّى بالكاتب زكي مبارك لتأليف هذا الشعر في شعر عمر ابن أبي ربيعة وداراك أسرار الجمال والشجاعة الأدبية رغم كلّ ما سيقال فيه مدح وهجاء وإجلالا لثقته بنفسه وإكبارا لنزف الشباب وابدء الجمال الإنساني وبدافع إيثار الأدب المكشوف إضافة إلى ميوله وأهوائه لشخص ابن أبي ربيعة ، وإلقاء الضوء عليه لينال حظه في الدراسة والبحث العلمي والوصول إلى الحقيقة.

أمّا فيما يخص القيمة العلمية للمؤلف فهي عبارة عن إبداع وذلك من خلال ملاحظتنا لحظور أسلوب الكاتب بقوة ، وإبداء رأيه ضمن فقرات كتابه إضافة إلى عدم استناده للكثير من المصادر والمراجع ونوضّح ذلك في إلقاءه لمحاضراته التي من خلالها ألف هذا الكتاب "المحاضرة الأولى ":[أيّها السادة في ضواحي سنتريس ، حيث يحلو السمر في ليالي القمر ، وعلى شاطئ النيل هناك حيث النجم والشجر ...].

ولما ننتقل إلى نوع المصادر التي انتقى منها مادته فهي متخصصة ومثال ذلك :كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، زهر الآداب ، إضافة إلى كتّاب العرب الذّين دونوا الحوادث اليومية لحياة عمر ابن أبي ربيعة .

وخلاصة الأصول النقدية عند زكي مبارك وهي أن ينبغي لدراسة الأديب وهي أن تدرس الحياة الاجتماعية التي تحيط به كما تدرس حياته الخاصة بالاستعانة يعلم الأنفس، وينبغي أن تكون تلك الدراسة مبنية على الاستقراء وعلى الفهم الصحيح لأدب ونقد مصادره معتمدة على التفكير وعلى الحاسة الفنية التي باختلافها يختلف النقاد في أحكامهم.

الفصل الأول:

تلخيص من كتاب

"حب ابن أبي ربيعة

وشعره

المبحث الأول: من النفس إلى النفس

المطلب الأول: المحاضرة الأولى

يبدأ الكاتب لابن أبي ربيعة قائلا أنه ليس ممن إذا غاب عنه حبيب أخذ في البكاء عليه، فتلك سبيل الشعراء المفجعين وكيف أن يكون مثلهم مسكينا في شعره وما كان مسكينا في حبه وتيا للمسكنة حتى في الغرام وكان رحمه الله آية الآيات في حسن الخلق وصحابة الوجه وحلاوة الحديث، فيقر زكي مبارك أنه ليس باستطاعته عد ما في كتاب"حب ابن أبي ربيعة وشعره"، من هفوات حامدا الله أنه وفق تصوير ابن أبي ربيعة وتمثيل حياته حتى كأن القارئ يراه. [1]

بدأت كتابة الكاتب زكي مبارك عن شاعرنا عمر منذ تسع سنين أيام الجامعة، حيث صرح أنه في أول محاضرة ألقاها عنه "إن الحب نفحة من نفخات النبوة"، وأقام على ذلك الأدلة والبراهين مما عارضه جماعة من المستمعين على رأسهم الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان وبعض الأشياخ مطالبين بوقف هذا الهراء فتدخل الأستاذ أحمد ضيف وأبان لهم في دعابة أن الحب كلام فارغ وأشار إليه بتخطي هذه الفكرة حتى لا يثور من جديد، وبفضل تلك المعارضة العنيفة عرف أن الحب مهما سمت أغراضه لا يجد من القوة ما يدفع به عدوان الجامدين الذين يحسبون الفضل كل الفضل أن يحيا الرجل بقلب متلبد مغلق لا يفقهه معنى الحب ولا يدرك أسرار الجمال فأدى به إلى محوما كتبه عن الحب والنبوة، لكن كيف وقد صار الحب في نفسه أخطر أنواع الجد وأن الجمال الإنسانيّ أروع ما في الوجود.[2]

فكانت الطبعة الثانية من كتاب "حب ابن أبي ربيعة وشعره"، كفاية لمصافحة شاعر الحب والجمال وفرصة للتكلم عن العشق والصبابة والحسن والصحابة.

---

[1]- زكي مبارك، حب عمر ابن أبي ربيعة وشعره، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، دط ، 2012، ص32

[2]- المصدر نفسه، ص 39.

وتصريف هذه البضاعة على أنها نوع من اللغو وضرب من الهراء وأنها شغل من لا شغل له من كل فارغ الرأس دقيق الإحساس وتكتب مقدمة الطبعة الثالثة فكانت هذه بداية كتابة زكي مبارك لكتابه" حب ابن أبي ربيعة وشعره"، متطرقا فيه إلى كل ما يخص الشاعر في حياته وشعره وأدبه.

يذكر الكاتب أنه أضاف إلى هذه الطبعة فصولا عن خب ابن أبي ربيعة وشعره وتحث عن معشوقاته اللآئي أضرمت في قلبه نار الحب، وذكر بعض الفكاهات التي اتصلت به وأن الأدب يسمو بقدر ما يتحرر من قيود الزمان والمكان فالرسالة أو القصيدة التي تعبر عن معنى من المعاني الإنسانية أبقى على الدهر من التي تعبر عن نزعة مصرية أو انجليزية، فإن النزعات عرضة للتغير والزوال ولكن الميول الإنسانية جديرة بالخلود.[1]

تطرق زكي مبارك إلى ذكر رجال الأدب التي فيها اللغة العربية، ولفتت أنظار العالم في الشرق والغرب فهذا أبو الفرج الأصبهاني يودع "الأغاني"، كل ما عرض له من أخبار الخلفاء والشعراء والكتاب بعبارة حرة صريحة ومكشوفة وهذا النويري يكتب نهاية الأرب بحرية خالصة لا يشوبها تحرج وهذا الجاحظ يأبى أن يحرم القارئ من ثمار اطلاعه التي ما جمعت ما تفرق من شهوات العقول وهذا الثعالبي يفرط في تصيد ما شرد من روائع الملح والفكاهات.[2]

يشبه هذا الكتاب بمائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين كما يصرح أذل مر بالقارئ حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو فاحشة، فلا يحمله التخاشع فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم، وإنما المآثم في شتم الأعراض قول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب مستندا قوله بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام:" من تعزى بعزاء أهل الجاهلية، فأعضوه بهين أبيه ولا تكنوا".

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص.40

[2]- المصدر نفسه، ص 43

ومن قول الأصمعي:كان للحارث ابن سدوس أحد وعشرون ذكرا وقيل للشعبي: "إن هذا لا يجيئ في القياس أيرى في القياس الولد ذكر".[1]

وحسب رأيه أن هذا تعبير وابتهار في الأخوات والأمهات وقذف للمحصنات الغافلات لأنه فرق بين الجنسين، مرورا إلى ابن قتيبة الذي قيد الأدب بقيد واحدة ونراه ينهى عن أن يكون ذلك النوع يحصر الكاتب في المواطن التي تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض.

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص46

المطلب الثاني :المحاضرة الثانية

وفي ضواحي سنتريس على شاطئ النيل، كان الكاتب زكي مبارك يقضي شطرا من الصيف وجزءا من الخريف بين خطاب يكتبه وجواب يقرأه، جلس في بعض الأصائل مع الصديق الحميم: الشيخ حسب الحكيم يحدثه عن شاعر الغزل: عمر ابن أبي ربيعة المخزومي.[1]

يعلمنا أن الغرض من هذه المحاضرات إنا هو البحث العلمي قبل كل شيء والوصول إلى الحقيقة من أي سبيل، فإن أنواع العلوم تتطلب ألوانا من النفوس، بل الفن الواحد يتطلب أرواحا مختلفة لفهم أدوار مختلفة، فإنما ابن أبي ربيعة حضري لا بدوي وقلما يصدق للخضري حضر بين حب أو تبقى لهم صبابة إذ يرون من مكملات الأدب أن يحي الرجل بعين بكية وقلي خفاق فلا يزالون يلتمسون الهوى حتى تتاح لهم أسبابها وتساق إليهم همومها كأن حتما على البدوي أن يخلد إلى القناعة في كل شيء، وعلى الحضري أن يعرف بالجشع في كل شيء ومن هنا تعرف كيف غلبت العفة على أولئك وتطرق الفسق إلى هؤلاء وذلك لما يختلف الفريقان في فهم معنى السعادة في الحب فهي عند الأعراب لا تحدوا مساورة الأواني ومسايرة الأحبة وعند أصل الحضر: كل ما أمتع عين إلى غير ذلك مما يشتهو ن.[2]

ومن ناحية أخرى نجد ابن أبي ربيعة الذي ما قصر على نفسه امرأة، حيث كان يلتمس الجمال بين مناسك الحج، ويقصد الأندية السامرة عساه يسمع حديثا عن بعض الآنسات الحور فيوضح الكاتب أنه لا يزيد بهذه الكلمة الغض من عواطف الحضريين ولا الكعن في كرامتهم فقد يكون من بينهم من هو أصدق خبا وأنقى عرضا ولكن نرى الشر في الحب والطمع في الصبابة من علائم التلون ودلائل التقلب، فقد كان الحضريون مكذبين في عشقهم، متهمين في حبهم، حيث أشار المؤلف إلى صاحب "زهر الآداب"، أنه صان كتابه عن ذكر طائفة من الشعر الصريح ولكنه غلب على أمره في مواطن كثيرة، فأباح ما لم يكن يتيح فنون اللهو والمجون فأراد ذكر ألفاظ عصره في

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 47.

[2]- المصدر نفسه، ص 47.

محاسن النساء، فرأى أن من تتمة البحث أن يورد أيضا ألفاظهم في محاسن العلمان وأتى في هذا الباب بطائفة من التعابير. المختارة التي تهيج الحواس.[1]

يصف الكاتب كثر غرور شاعرنا بشبابه وفنونه بجماله وتحدثه بحب النساء له فقد صرح أنه رأى في شعره عزة المعشوق لا ذلة العاشق وتية المحبوب لا خضوع للحب. [2]

فكان هذا كله دليل على أنه كان معشوقا لا عاشقا ومطلوبا لا طالبا وأن النساء كانت تقع عليه كما يقع النحل على الزهر، فكثرت دعوة توحيد حبه وإفراد غرامه كما لا يمكن أن تكون كل هذه الدعاوي صحيحة فإن كذب بعضها كان دليلا على كذب البواقي، فاستنادا من شعره على ما يدل أن النساء عرفن ليه التلون وعهدن فيه التقلب يقول في الحديث عن بعض معشوقاته:

قالَت وَقَد جَدَّ رَحيلٌ بِها وَالعَينُ إِن تَطرِف بِها تَسجُمِ

إِن يَنسَنا المَوتُ وَيُؤذَن لَنا نَلقَكَ إِن عُمِّرتَ بِالمَوسِمِ

إِن لَم تَحُل أَو تَكُ ذا مَيلَةٍ يَصرُفُكَ الأَدنى عَنِ الأَقدَمِ[3]

بعد أن تبين لنا في المحاضرة السالفة أنه لم يكن صادق الحب وأنه كان هتاكا للحرائر ساعده على ذلك شبابه وجماله الفاتن وثروته الطائلة، فكان من شأنها أن يتسع وقته لمداعبة الغيد وملاعبة الحور، وقد علمنا مما سلف مبلغه من الحب ونصيبه من الصبابة وفقا لحالته النفسية وميوله الشخصية فأثر تلونه في حبه وتلاعبه في عشقه كان داعيا إلى أن يكون لشعره صفة تميزه عن غيره وتفضله عمن عداه.

ومن ناحية أخرى أقر الكاتب زكي مبارك أن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا الشعر، فعمر ابن أبي ربيعة رفه من شأن قومه وأكمل مجد آبائه فابتكر من نادر المعاني وابتدع من جديد الأغراض، فراق الناس وبرعهم بسهولة الشعر وحسن الوصف ودقة المعنى والصواب، فأحسن التجمع وأسر النوم وحتى الحديث وضرب ظهره لبطنه وكان بعد كل هذا فصيحا غير أن كل

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 48.

[2]- المصدر نفسه، ص 48.

[3]- المصدر نفسه، ص49.

هذه الصفات لم يشاركه فيها مشارك ولم يزاحمه عليها مزاحم وإلا كيف بهر بها الناس وفاق من أجلها النظراء، فكان هذا دليل على أن ابن أبي ربيعة كان معشوقا ومطلوبا لا طالبا وأن النساء كانت تقع عليه كما يقع النحل على الزهر والطير على الشجر، فكثرت دعوته توحيد حبه وإفراد غرامه ولاانفرد ابن أبي ربيعة بصفات متميزة لم يشاركه فيها أحد ولم يزاحمه مزاحم وإلا فكيف بهر بها الناس فيتطرق إلى ذلك المؤلف الذي درس شعر عمر فقال زكي مبارك أنه لم يدرسه دراسة تمكنه من الحكم الصحيح وتجعله واضعا من الكلم في موضعه وأن يكون الشاهد وفقا لما يزعمه وطبقا لما يدعيه فقد رأيناه يمثل لدقة معناه وصواب مصدره بقوله:

عوجا نُحَيِّ الطَلَلَ المُحولا وَالرَبعَ مِن أَسماءَ وَالمَنزِلا
وَمَجلِسَ النِسوَةِ بَعدَ الكَرى أَمِنَّ فيهِ الأَبطَحَ الأَسهَلا
بِجانِبِ البَوباةِ لَم يَعدُهُ تَقادُمُ العَهدِ بِأَن يُؤهَلا[1]

وليس هذا بالكلام الرائع والكلام الدقيق حسب مبارك وإنما شعر كان من أمره في التعقيد إن اختلف الناس في فهمه وتأويله، فقال إسحاق ابن إبراهيم: يعني أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد وهو فهم سقيم فإن المنزل الذي لم يؤهل حتى لا يخشى عليه تقادم العهد ليس أهلا للتحية ولا لتذارف الدموع وقال بعض المدنيين يحييه بأن يؤهل أي يدعو له بذلك وهو الأنسب وأن هذا الشعر يدل على الكذب أكثر مما ينم على الصدق، وما قيمة الصدق في حبه والحب في قلبه وهو يعرف غيرها ويصل سواها ولو أنه نظر نظرة عميقة في شعر عمر ابن أبي ربيعة لاهتدى إلى المثال الواضح والشاهد البين في الدلالة على صدقه في الحب والغرام ومن أحسن ما قاله عمر وقد وقف في مناسك الحج والنساء مقبلين جماعات كأسراب الحمام وكن بالحج عابثات وفي النسك لاعبات:

من اللاّءِ لم يَحْجُجْنَ يبغين حِسبَةً ولكنْ ليقتُلْنَ البريءَ المغَفّلاَ[2]

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 50

[2]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 52

فأخذ الرجال يرشقونهم بالنظرات ويصلونهن بالأماني فيطيعون الهوى ويعصون الله ويجيبون داعي الحسن ويعيقون داعي النسك كل ذلك وعمر عفيف القلب والطرف لا خشية من الله أو إجلالا للمنسك ولكن طاعة للهو ى ونزولا عند حكم الصبابة احتفاظا بود من يهو ى وراعيا لعهد من يحب وارس في هذا الشعر شيء من حسن العزاء إنما هو تناس لمن يهو ى وتغاض عمن يحب فأما الأسلوب هو الطريقة المثلى في الأداء فقد كان للعرب قبل ابن أبي ربيعة بأجيال بأسلوب سام وبديع مازال الناس يقتفون فيه أثرهم.[1]

اختلف الكثير من الأدباء والنقاد والشعراء في فهم عمر ابن أبي ربيعة مما زاده تمهيدا للحكم على شعر ابن أبي ربيعة، وبيانا لإبداعه الذي عرف به فالأدباء السالفين إنما ينسبون إليه هذه البدعة ويسندون إليه هذا الجرم وهو تزيين الفسق وتلطيفه وتسهيله لدى النفوس الأبية وتقريبها إلى القلوب العصية، ولقد ذكر شعره مع شعر الحارث بن خالد في مجلس ابن أبي عتيق ففضل بعض الحاضرين شعر الحارث، فقال ابن أبي عتيق: بعض قولك يا أخي فإنه ما عصي االله عزوجل للشعر أكتر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة يريد أنه أبصر بمواقع الأهواء ومواطن التأثير وإذا كان المؤلفون في الأدب لم يشرحوا طريقه ابن أبي ربيعة في القصص وكان منهجه فيه جديرا بالبيان والإيضاح، فقد أراد الكاتب أن يبين وجه الفتنه فيه وموضع الحسن منه حتى يتبين لنا أنه في شعره محتال وأنه بالنسيب صائد ومثال هذا قال:

رَاحَ صَحبي وَلَمْ أُحَيِّ النَّوارا وَقَلِيلٌ لَوْ عَرَّجوا أَنْ تُزَارا

ثُمَّ إمّا يَسْرُونَ مِنْ آخِرِ اللَّيْـ ـلِ وإمّا يُعَجِّلُونَ كَبْتِكَارا

هذه إحدى قصائده القصصية وعلى نمطها طبع أغلب شعره من موجبات الفتنه وموقظات الشهوات. [2]

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص53

[2]- المصدر نفسه، ص 54

إضافة إلى أنه كان الناس يفهمون في شخص ابن أبي ربيعة محرضا على الفسق مزينا للفجور عاقا للفضيلة بارا بالرذيلة وكذلك كان شعره عفا الله عنه وأي أمراه لا تفتنها تلك الأحاديث الفاتنة وهذه القصص الخالية؟،ومهما يكن من شيء فإن الرجل لم يشأ أن تختم حياته بالمجون فما كاد يتجاوز الأربعين من عمره حتى أقبل على نفسه يحاسبها، وعلى ربه يستغفره وهجر الشعر على حبه وألف النسك على بغضه، لولا تلك الذكرى الموجعة التي كانت تعاوده من حين إلى حين وذلك الشوق الدخيل الذي كان يهيجه في الفينة بعد الفينة، فقد كان يحن إلى شبابه حنينا موجعا ويتطلع إلى ماضيه تطلع اليائس المتلهف، ويمد يده لعله يرجع الدهر ويلفت الزمن ولكنه هيهات فقد خانه الأمل وخلاه الشباب وأخذ الشيب في هد تلك القوى وهدم ذلك الصرح وأخذ النساء يتراجعن ضاحكات منه ساخرات به وبدأ الدهر يبني دوله جديدة للحب ويشيد حصنا ثانيا للغرام فأنشأ فتيانا غير الفتيان وعذارى غير العذارى وأصبح ابن أبي ربيعة غريبا والمشيب غربة وعاد الناس يقولون:[1]

هذا هو ابن أبي ربيعة التي تعضه النساء وهو بالبيت يطوف وهذه هي الثريا التي كانت تحسدها الأزهار في الرياض والنجوم في السماء وهذه معالم ابن أبي ربيعة ومعاهد شبابه قد عادت صما خوالد ما يبين كلامها.

إن الشعر أثر من آثار النفوس ولون من ألوان الفؤاد وكما تختلف النفوس في نزعاتها والقلوب في خطراتها يختلف الشعر في أغراضه ويتنوع في مناحيه.

تتنوع مناحي الشعر وتتعدد مذاهبه بيد أنه لا يكفي أن يقال، إن شعر اليأس غير شعر الرجاء، وشعر الحزن غير شعر الفرح فإن ذلك وإن فرق بين عاطفة وعاطفة وحالة وأخرى فإنه لا يرضي الأديب الفيلسوف الذي يعرف لعاطفة الحب ألوانا مختلفة ولثائرة الحزن أشكالا متباينة، فيرى الحزن على الحبيب الراحل غير الحزن على الحبيب المفقود ويرى الشعر في بكاء الأبناء غير الشعر في رثاء الآباء حتى ليؤمن بالفرق بين الشاعرين يدعوان إلى نحلة واحدة بلهجة واحدة إذ كانت خطوات

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 55

السائرين في سبيل واحد إلى غرض واحد تختلف قوة وضعفا ونشاطا وفتورا باختلاف فهمهم للغاية التي يقصدونها والغرض الذي يرمون إليه.[1]

كما يختلف الشعراء والكتاب فلن يكون ابن الرومي في بؤسه وذله بالشاعر الذي ينحو نحو منحى ابن المعتز في عزه وغناه ولن تكون أفكار جان جاك روسو الذي كان يفترش الأرض ويلتحق السماء بسالكة سبيل أفكار ميشيل مونتين الذي كان يعبده أبوه فلا يوقظه من نومه إلا بأنغام الموسيقى وألحان الغناء.[2]

ثم إن مسألة ابن أبي ربيعة من بين المحبين وشعره ومن بين أنواع النسيب بلى إنه رجل خليع وفاتن النظر وأخاذ فلا بد أن يكون شعره كذلك فاتنا أخاذا وضاحك الثغر بسام فيجب أن يكون شعره ضاحكا بساما، فإنما الشعر صورة النفس وتمثال الفؤاد ألا فليخل شعره من التوجع وليسلم نسيبه من الجزع وليترك الهم لقوم سواه فما كان بالمحزون ولا المهموم. [3]

فعلام يصف الليل فيشكو كواكبه البطيئة وفجره المفقود وما كان الرجل في التفاف النساء حوله وإقبالهن عليه ويشك والبين وما روعه نذير بالفراق إلا بشره يشير بالتلاق أم كيف يبكيه الوداع ألا فليذكر الليل الطويل جميل وليحزن من البين المشت الكثير ثم ليتركوا ابن أبي ربيعة بين الشموس السواطع والبدور الطوالع وإنه من بي بينهم لسعيد.

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 56

[2]- المصدر نفسه، ص 64

[3]- المصدر نفسه، ص 68

المطلب الثالث: المحاضرة الثالثة.

مرورا إلى الجوانب المرحة التي تزخر بها الآداب العربية حتى لا يسهل رميها بالفقر والجفاف وإنا لمكتفون في الحديث عن معشوقات عمر ابن أبي ربيعة بما استباحه المؤلفون القدماء أمثال: صاحب "الأغاني"، وصاحب"الأمالي".

وصاحب "زهر الآداب"، ومن إليهم ممن ترجموا هذا الشاعر الغزل وتحدثوا عمن كان يهو ى من ربات الحجال ويكشف عن نفسيته ويرينا الفتن التي أرهفت إحساسه حتى أغرم بالحسن وحبس شعره على الحسان، فحزم الكاتب أن يلفت نظرنا إلى أنه لا ضمان لصحة كل ما أنقل عن أبي ربيعة ومعشوقاته من مختلف الأخبار فتلك شخصيات محبوبة لا يبعد أن يكون الرواة أضافوا إليها ما شاءت أهواء السامرين من طريق الأحاديث، فكان ابن أبي ربيعة يتخذ أيام الحج موسما للهو والمجون وزيارة تلك المناسك والتعرض لكرائم النساء فما إن رأى امرأة وهو يطوف فأعجبه جمالها فمشى معها حتى عرف موضعها ثم إن أتاها فحادثها وناشدها وله معهن لحوادث أشنع في متابعته للملاح.[1]

ومن ناحية أخرى نعلم أن ملاح النساء كن يتحدثن عنه في مجالس النساء كن يتحدثن تنه في مناسك الحج في لهفة وشوق وكان يقدر له أحيانا أن يسمع ما يلهجن به من ارتقاب عزله وانتظار لقياه، فيصرح الكاتب أنه لم يكن هذا الشاعر في حاجة إلى تصيد النساء فقد كن عليه أحرص وإلى تصيده أحوج، فيشير إلى تلك السيظة الأموية التي قدمت معتمرة قبل أوان الحج فمرت عليه وهو تطوف وكان في نفر من بني مخزوم يتحدثون وهم جلوس فمالت إليهم فأطالت معهم الحديث ولم تنصرف حتى ظفرت بقلب ذلك الشاعر الجميل ولم يزل يتردد إليها إلى أن انقضت أيام الحج فرحلت إلى الشام وفيها يقول:

[1]- زكي مبارك، حب ابن ابي ربيعة وشعره، ص69

تَأوبَ لَيلَى تَنصبُ وَهمْ وَعاودتْ ذِكرَى لأُم الحَكمْ

فَبتُ أُراقبُ لَيلَ السَما ءِ مَن نَام مِن عَاشقٍ لمْ أَنمْ

فَإمَا تُرينِي عَلى مَا عَرا ضَعيفَ القِيامِ شَديدَ السَقمْ [1]

وفي هذه الحوادث التي سقناها عن لمن أراد أن يقدر إلى أي حد كان ابن أبي ربيعة يلتمس أسباب الهوى ويترقب مواسم الحج والجمال، وفي هذه الحياة المرحة الحافلة بفرض اللهو ومتع الشباب قال ذلك الشعر الحي الذي يوقظ المنى وهاجعات الأهواء.

عائشة بنت طلحة:

لقد كانت أهم قصيدة رويت لعمر ابن أبي ربيعة هي رائيته التي فضله بها القدماء على جميل وكانت أولى معشوقاته، هي تلك الجميلة التي أوحت القصيدة والتي أجمع أهل عصرها على تفردها بروعة الجمال الفاتنة التي أثارت قلبه وأضرمت إحساسه ففتحت له باب الخلود.[2]

جمالها:

أما جمالها فكانت فتنة لكل من مسمع بها أورآها من أهل ذلك الزمان، وإنهم ليذكرون أن رآها أبو هريرة فقال: سبحان آلله، كأنها حور العين، وروي أنها نازعت زوجها إليها فوقع خمارها عن وجهها فقال: سبحان الله ما أحسن ما غذاك أهلك لكأنما خرجت من الجنة فوصفت بمقبلة ومدبرة ومحطوطة المتين عظيمة العجيزة ممتلئة الثرائب تقية الثغر وصفحة الوجه فرعاء الشعر، لفاء الفخذين ممتلئة الصدر خميصة البطن ضخمة السرة مسرولة الساق يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها، وكانت بجمالها باغية ظالمة تكلف بالكيد لأترابها من شهيرات النساء تنافس بالحسن سكينة بنت الحسين قالت يوما لها سكينة: أنا أجمل منك، فقالت عائشة: بل أنا!، فاختصما إلى عمر ابن أبي ربيعة فقال: لأقصين بينكما، أما أنت يا سكينة فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها فقالت

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص85

[2]- المصدر نفسه، ص 99

سكينة: قضيت لي والله.[1] وقد آثرنا إثبات هذا الحديث لنري القارئ صورة من تلك الحياة اللينة التي كان يحياها شباي الحجاز ولتريه كيف كانت عائشة بنت طلحة في أعين الخبيرات من النساء فإن المرأة أعرف بالمرأة وأبصر من الرجل بسرائر الحسن المكنون، بيد أنه لا يصح لنا أن ننسى أنه لم يكن يفوز في كل مرة بما يبغي شيطانه من زيارة تلك المناسك والتعرض لكرائم النساء، فقد روي أن امرأة جميلة قدمت مكة فنظر إليها وهو يطوف فوقعت في قلبه، فدنا ننها فكلمها فلم تلتف إليه فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها، فقالت له: إليك دعني يا هذا فإنك حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة فألح عليها بكلمها حتى خافت أن يشهرها ومن هنا عرفوا أنهم كانوا يؤثرون الملاحة على الجمال.[2]

أخلاقها:

وأما أخلاقها، فكان أظهرها بالعفة والشراسة واللؤم وحدة الشهوة، كانت عفيفة ولم يستطع أحد من طغاة الفتيان والأمراء أن يطمع منها في كثير من الإثم أو قليل وكانت في عفتها وصبابتها خنثة عنجة تواتي الزوج بأطيب ما تستطيع المرأة العروب من غرائب الدلال.[3]

وكانت شرسة لا يقدر عليها الزوج إلا بالتلاحي والضرب ولها مع هذه الشراسة لحظات تصف وفيها وتطيب، لئيمة تصر على العنف وتبيت على العدوان يؤيد هذا ما كان بينها وبين زوجها الأول إذا مات وهي عنده فلم تفتح فاها عليه بالرغم من أنه كان ابن خالها وتزوجته برأي خالتها عائشة أم المؤمنين ومن حديث لؤمها أن مصعب دخل عليها مرة وهي نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها ثمان وعشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها، فقالت له: نومتي كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ، وكانت حادة الشهوة يتقدم إليها خاطبوها تصريحا وتلميحا بما عندهم في

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص .100

[2]- المصدر نفسه، ص 102

[3]- المصدر نفسه، ص 103.

ذلك من غناء ولها في هذا الباب أخبار لا نرى من الخير أن نبدئ فيها ونعيد إذ كانت لا تخرج عن ما هو معروف من شر الطبائع النسائية وخرصها على ما أصلاب الرجال.[1]

يشير الكاتب إلى ما بيده المولع بتاريخ ذلك العصر من فحولة الرجال وأنوثة النساء وذلك هو سر تلك القوة التي استطاع بها العرب أن يسودوا العالم وأن يخضعوه لسلطانهم في زمن قليل وفحولة الرجال ظاهرة غالية في عهد بني أمية والصدر الأول من عهد بني العباس فلا تكاد ترى رجلا إلا مصحوبا بسيرة ملؤها الفتك وقوامها الفتك وقوامها الإسراف.[2]

ويكاد يكون عصر بني أمية هو العصر الذي قوي فيه سلطان المرأة وذل الرجل على بطشه وبأسه لما في ضعفها من القوة والجبروت.

عقلها وجاهها:

كانت عائشة بنت طلحة حاضرة البديهة ورائعة النكتة وفي بسطة من المال يحسب حسابها الأمراء ونساء الطبقة العالية من قريش ومن دلائل جاهها وعقلها ما ذكر وأنها تأيمت كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة وتخرج إلى ما لها عظيم بالطائف وقصر لها هناك. [3]

أخبارها مع الحارث ابن خالد المخزومي:

أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين وكان يذهب مذهب عمر ابن أبي ربيعة وكان يهو ى عائشة بنت طلحة ويشبب بها.[4]

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، 105.

[2]- المصدر نفسه، ص 106

[3]- المصدر نفسه، ص 108

[4]- المصدر نفسه، ص 109

ما كان بينها وبين عمر:

رأى عمر عائشة أول مرة في الطواف وهي تزيد الركن تستلمه فبهت لما رآها في الطواف وهي تزيد الركن تستلمه فبهت لما رآها وقال فيها أشعارا كثيرة فبلغ ذلك فتيان بني تميم ثم أخذ يكنى عن اسمها في قصائده ويتلطف في تبليغها ما يريد على أعواء المغنين وبأصوات الغناء ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

يا أُمَّ طَلحَةَ إِنَّ البَينَ قَد أفِدا قَلَّ الثَواءُ لَئِن كانَ الرَحيلُ غَدا[1]

أَمسَى العِراقيُّ لا يَدري إِذا بَرَزَت مَن ذا تَطَوَّفَ بِالأَركانِ أَو سَجَدا

ولم يزل ينسب بها أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وروي أن ابن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة هناك.

ولنلاحظ أن شعر ابن أبي ربيعة في عائشة بنت طلحة لا يستطاع تعيينه عند الرجوع إلى ديوانه فقد رأينا أنه أرغم على السكوت عنها وأنه اكتفى بالتلميح في أكثر ما أوحت إليه من الشعر البليغ وعندما نلاحظ ذلك يصح لدينا أنه كثيرا من الأسماء التي وردت في شعر المخزومي لم يكن إرادة لسر حبه وصرف الناس عن الكيد لمن يهو ى من كرائم الملاح.

سكينة بنت الحسين:

كانت بنت الطبيعة قبل أن تكون بنت الحسين كما كان أبوه غذي الفطرة قبل أن يكون سبط الرسول فلا يغضب قوم أنها كانت في عفافها تؤثر على الوقار وتهو ى أن يخلد حسنها في قصائد الشعراء كانت حريصة أن تعيش عيشة نابهة ملؤها الزهور والإعجاب وكان بيتها لذلك خفيف الظل على الأدباء والشعراء وكانت ترعى الحياة الأدبية رعاية لا تخلو من قسوة وعنف فتفاظل بين المعاني والأغراض وتجبه من تشاء من الشعراء بلاذع النقد وموجع التحريج وكانت تهتم بنوع خاص من المعاني الوجدانية التي تقال في وصف المرأة ولها حديث ممتع في نقد جرير والفرزدق وجميل وكثير ونصيب ويمكن الحكم بأن في توفرها على نقد النواحي الغزلية دليلا على أنها كانت تحيا حياة

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص113.

وجدانية معقدة وكانت تجد في تفقد الصلات بين أرواح الشعراء وقلوب النساء مطرا من لوعة الوجد المكتوم و وقدة الحزن الدفين.[1]

عنايتها بالغناء:

كانت سكينة تعنى بنقد الغناء عنايتها بنقد الشعر وكان المغنون يقصدونها كذلك فقد ذكر صاحب " الأغاني" أنها غنت فدخل إليها ابن سريج والغريض فقال لها: إني كنت صنعت صوتا وحسنته وتتوقت فيه وخبأته لكي في حريرة في درج مملوء مسكا فنازعنيه هذا الفاسق فأردنا أن نتحاكم إليك فيه فأينا قدمته فقالت: هاته.

ولها مع ابن سريج أخبارا رأينا أن نضرب عنها صفحا لما في نقد منها من مآثم تقف مدى حدود أدب مكشوف.[2]

جمالها:

كانت السيدة سكينة إحدى نوادر الجمال في العصر الذي ظهرت فيه وكانت تنافس عائشة بنت طلحة حريصة مسرفة في الحرس على جمالها وكانت أحسن الناس شعرا وكانت تصفف جملتها تصفيفا لم يرى أحسن منها وكانت تلك الجمة تسمى " السكينية "، وكان عمر عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمتة السكينية جلده وحلقه وفي هذا دليل على أنها صاحبة بدعة في تصفيف الشعر وتنسيقه وكان تقليدها في تلك البدعة مما يقدح في أخلاق الرجال ولولا تحرج المسلمون الأولون من التصوير رأينا كيف كانت الفتنة في ذلك التصفيف ولعرفنا بعد ما بين تلك البدعة وبدعة الشعر المقصوص في هذا الحيل.[3]

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 117.

[2]- المصدر نفسه، ص122

[3]- المصدر نفسه، ص 123

الثريا وسهيل:

في رأي الكاتب أن مسعدة ابن عمر أخرج ابن أبي ربيعة إلى اليمن فالثريا تزوجت سهيل في عناية أثناء ذلك بلغه الخبر وأنها خرجت إلى مصر فقال أبيات يخاطب من تزوجها وقد آثره الشوق لذلك كتب لها بعض الأبيات قائلا في معنى ذلك أنه متحسر ويبكي ويؤرقه الشوق والحنين ويضيف مبارك أن الثريا بكت لقرائتها ذلك، ومن وجهة نظر المؤلف ورواية صاحب الأغاني، سهيل عند زواجه بالثريا نقلها إلى الشام وذهب عمر ابن أبي ربيعة لمنزلها ووجدها قد غادرته بعد ذلك أدركها فعرفته رغم تنكره، فقالت لحاضنتها كلميه، فقامت بلومه عن ما حل بالثريا إذ قالت أنهم على وشك الرحيل وليس وقت اللوم فقام بتوديعها ورآهم وهم يغادرون وقال في ذلك أبيات يصف محادثتها معه وبكائه واعتذر لها ولومها عن ما آل إليه من بعده.[1]

وهنا يلمح الكاتب أن الثريا خرجت إلى الوليد ابن عبد الملك عند موت سهيل حيث قال الوليد لأم البنين: من تكون؟، قالت: الثريا جاءت تطلبك لي قضاء حوائج لها خاطبها ان كانت تروي من شعر أبي ربيعة قالت: نعم، فروت له قوله:

ما عَلى الرَسمِ بِالبُلَيَّينِ لَو بَي ... يَنَ رَجعَ التَسليمِ أَو لَو أَجابا

فَإِلى قَصرِ ذي العُشيرَةِ فَالطا ... ئفِ أَمسى مِنَ الأَنيسِ يَبابا[2]

بعد ذلك قضى حوائجها وقامت بالذهاب.

شعر عمر في الثريا:

يوضح لنا مبارك أن الثريا كتبت فيها الكثير من القصائد من قبل عمر ابن أبي ربيعة ففي معنى بائيته أنه مشتاق وملوع على أحبابه ويتحسر ويصف حال قلبه العاشق بالإضافة إلى ذكر الفتاة ولومها، فيقول الكاتب أن عمر زار الثريا فتراجعت عن رؤيته بسبب صاحبه حيث خاطبها أنه لا

[1]- ينظر: زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 133

[2]- المصدر نفسه، ص 136

يخفي عنه شيء فطلب الفريض من الشعراء أبياتا في موت الثريا فقال فيما معناه أن العين تدمه لفقدانها.[1]

أما بخصوص جنيات الثرية على ثنايا عمر فلمح الكاتب انه زاراها فتراجعت عن رؤيته بسبب صاحبه حيث خاطبها انه لا يخفي عنه شئ.

وطلب الغريض من الشعراء أبياتا في موت الثريا فقال في ما معناه إن العين تدمع لفقدانها وأنها كانت أهلا لان تبكى بغير هذا الشعر الضعيف لو عرف مصادروها إن يوم دفنوها إنما غيبوا لثريا في التراب .

زينب بنت موسى:

يقول مبارك أن شغف ابن أبي ربيعة بزينب بنت موسى أن ابن كتيف ذكرها ووصف عقلها وجمالها وأدبها لذلك شغلت قلبه فقال فيها شعرا ومن شعر ابن أبي ربيعة في زينب قال:

طالَ مِن آلِ زَينَبَ الإعراضُ لِلتَعَدّي وَما بِنا الإبغاضُ

وَوَليدَينِ كانَ عُلِّقَها القَل بُ إِلى أَن عَلا الرُؤوسَ البَياضُ[2]

مرورا إلى:

فاطمة بنت عبد الملك:

يشير الكاتب أن حديث ابن ابي ربيعة وفاطمة بنت عبد الملك كان مليء بالمفاجآت ومانت تحب أن يكتب لها شيء، وقال عمر في فاطمة وذكر أنه قالها في الثريا بنت علي في معنى قصيدته أنه تذكر أحبابه ويذكر الكاتب أن حب عمر غير حقيقي والرواة وصفوا خيالهم من قصص عشقه للترويح عن النفس. [3]

[1]- ينظر زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 137

[2]- ينظر: زكي مبارك، عمر ابن أبي ربيعة، ص 138.

[3]- المصدر نفسه، ص 141

يروى أن ابن أبي ربيعة رأى امرأة فائقة الجمال والحسن والكمال فسألته عن اسمه ثم خاطبته بأنه هو فاضح الحرائر وقالت له شيئا من شعره، أما عن معنى شعر ابي ربيعة لفاطمة بنت عبد الملك أنه يتمنى الموت على الرحيل وأنه لا يستطيع الكلام ومعه سيل من الوجع والألم، إضافة إلى قوله في رائيته:

يا خَليلَيَّ هاجَني الذِكَرُ وَحَمولُ الحَيِّ إِذ صَدَروا

ضَرَبوا حُمرَ القِبابِ لَها وَأُحيطَت حَولَها الحُجَرُ[1]

وبالحديث عن أزواج فاطمة فقد كانت تحت عمر ابن عبد العزيز عند موته تزوجت داود بن سليمان بن مروان وأشار الكاتب هنا إلى هند بنت الحارث أنها نن أكثر حسنوا تذلك العصر وهي من أوحت إلى عمر التي قرنت إلى رائية بالإضافة إلى إشارة الكاتب أنه حدث حوار ونقاش بين هند بنت الحارث وأبي ربيعة لذلك هناك شعر عبر لهند منه في رائيته لقوله:

يا صاحبيّ، قفا نستخبرِ الدارا، أَقْوَتْ فَهَاجَتْ لَنَا بِكلنَّعْفِ تذْكَارَا

تبدلَ الربعُ ممنْ كان يسكنه، أُدْمَ الظِّبَاءِ بِهِ يَمْشِينَ أَسْطَارا

وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سِرْباً بِهِ حَسَناً مِثْلَ الجَآذِرِ أَثْيَاباً وأَبْكَارا

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 142.

المبحث الثاني: نوادر وأخبار عمر ابن أبي ربيعة.

المطلب الأول: أخبار الملاح.

بداية يوضح الكاتب أن الدالية كانت من شعره في هند وكانت سببا واضحا لثروة الرشيد وذكرها زكي مبارك كاملة في كتابه بأهمّيّتها في الأدب والتاريخ. إضافة إلى هناك ما نقله صاحب الأغاني عن الحارث ابن خالد وأبي ربيعة كان معجبا بالفريض إذ كان لي الكثير من الأحيان ما يسأل العريض أن يفنيه.[1]

ومن قول الفريض أمسى بأسماء هذا القلب محمودا في أقوال يعتاده حيث الكل استحسن شعر الفريض على إثرها تفرقن النسوة اتخذوا طريقا والكل طريق ووفي صدد ذلك قال عمر شعرا.[2]

رائية ابن أبي ربيعة:

حسب قول الكاتب ومن خلال رؤيته التعرض فيمن قبلت هذه القصيدة فممكن في عائشة بنت طلحة حتى وان لم تكن قيلت فيها فقد عناها ببعض الحديث لأن قومها نهوه عن ذكرها في شعره وأنشد قصيدتين في صدد هذا الأولى دالية والثانية رائية فالدالية كانت لفاطمة بنت محمد ابن الأشعث أما الرائية لم يقل حسب المقدمات تدل على أنها قيلت فالثريا فيشير المؤلف في صدد هذا أن امرأة استقبلت عمر في الحرام ولي يدها خلوق مسحت بها ثوبها ومشت وهي تضحك.[3]

لأمية جميل:

من خلال الكاتب أن هذه القصيدة أشير إليها في المحاضرة الثالثة لكنه ثبتها بجانب رائية عمر ليخمن القارئ في صدق من قال أن عمر أشعر من جميل في الرائية وجميلا أشعر منه في اللالامية وللبحث عن النسخة كاملة غير متوفرة غير ما أثبته صاحب الأغاني حيث حاول وصفهما في الميزان للمقارنة بينهما، فمن قول جميل:

---

[1]- ينظر: زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 161.

[2]- نفس المصدر، ص162.

[3]- نفس المصدر، ص163 .

لقد فَرِحَ الواشونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبلي بُثَيْنَةُ أَوْ أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يَقولونَ مَهلاً يا جميلُ وإنَّني لأُقْسِمُ مالي عن بُثينةَ من مَهْلِ[1]

وكل هذا دلالة على أن الدالية من شعر عمر لهند وكانت سببا واضحا لثورة الرشيد وذكرها الكاتب كاملة في كتابه لأهميتها في الأدب والتاريخ.

المطلب الثاني: تأثير ابن أبي ربيعة في شعراء اللغة العربية.

يوضح لنا الكاتب أن القارئ أصبح مدرك كيف أثر عمر ابن أبي ربيعة في شعراء عصره وجعلهم يعترفوا بتوفقه عليهم في مذاهب النسيب وأبي ربيعة غلب على شعراء عصره لذلك الرواة أضافوا إليه أكثر القصائد وأغلبها التي وسمة بما يسمى في حوار الملاح.[2]

يبين المؤلف على أنه من البديهي والمعقول أننا نحاول معرفة بمن تأثر عمر ابن أبي ربيعة من الشعراء القدماء وهذا ما أشير إليه في المحاضرة الثالثة حيث ندرك أنه تأثر بامرئ القيس فتحدثا كثرا بالحديث عن حوادث الليل، الحب، الصبا على اثر ذلك أكثر ما مر من شعر عمر يذكرنا في الغرض والأسلوب بقول امرئ القيس وعلى اثر هذا المنهج سار ابن ربيعة في محاكاة امرئ القيس ولكن طه حسين عكس القضية فقرر العكس، حيث رأى أن امرئ القيس هو من حاكى عمر لأنه من المفترض شعر امرئ القيس منحول فمن وجهة نظره أنه من الغريب المستحيل أن يسبق امرئ القيس إلى هذا الفن ويتخذ فيه الأسلوب ولا أحد من النقاد يشير إلى أن ابن أبي ربيعة تأثر بامرئ القيس بالإضافة أنه يؤكد أنه هو منشئ هذا الفن من الغزل ، فيذكرنا زكي مبارك أنه بحث مطولا عن المسار الذي سلكه ابن أبي ربيعة ونهج منهجه في مخاطبة النساء فلم نجد لي شتر بشار ما يقارب نهج عمر في التقرب والتودد إلى الملاح ووصف المرأة والجوانب الحسية لها، فالمرأة حسنة الخلق ففي معنى بعض

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره ص164.

[2]- ينظر: نفس المصدر، ص 187.

قصائده في وصف المرأة أنها بيضاء والشباب يرى في وجهها إذا ابتسمت وهذا الشعر يلمح إلى نفحة من الجمال.[1]

بلغ المهدي أن بشار يقول شعرا في النساء ويصفهم فقال أنه يحرضهم على الفسق والفجور لذلك أمر المهدي بألا يتغزل بهن حيث قال أشعارا في ذلك أيضا.

ومن ناحية أخرى يؤكد الكاتب أن حقيقة القصيدة الأولى تشبه شتر عمر ابن أبي ربيعة وأنه حاكاه في التغزل بنفسه والتكلم عن النساء وأسره لقلوبهم والكاتب مما نراه من تشابه لهذين الشاعرين وبقي من شعر بشار إلا شواهد قليلة وضئيلة لن تساعد في تأييد ما ذهبنا إليه ويضيف أنه لا يوجد شاعر قط بعد عمر كل حياته وجل شعره على التشبيب بالنساء رغم الكثير من الشعراء سبيله في القصص الغرامي.[2]

مصعب بن عبد الله الزبيري:

يوضح لنا الكاتب أن مصعب بن عبد الله الزبيري قدم شعر ابن أبي ربيعة إلى القدماء ويلمح الكاتب أن القارئ رأى أنه قد تم نقد مصعب في المحاضرة، يعرفنا الكاتب بمصعب الزبيري أنه عن الشعراء المجدين والخطباء وهو من الأوائل من نادموا الخلفاء من بني العباس وعرفنا عن مصعب ما نقل عنه صاحب الأغاني أنه من كبار الكتاب في القرن الثالث وله الفضل الكبير في تدوين أخبار الشعراء والمغنين وبالإضافة إلى أن له شعر جيد لكن لم يبق منه إلا القليل وامتاز بعبارته النقدية والواضحة السلمية لا يوجد فيها غموض ولا تكلف وهذا دليل أنه كان من المبدعين، وذكر عن أخباره أنه يعيش في جماعة لها مال وفير وحظ من الجمال والجاه وكان متصلا بأحمد بن هشام أخي علي ابن هشام الذي كتب إليه إسحاق الموصلي، فيروى أن مصعب تورط صحبة هذه الجماعة لكثرة الشر

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 188.

[2]- المصدر نفسه، ص 191.

والسوء فيهم بسبب وقوع الفجرة بين أحمد ابن هشام وإسحاق ابن إبراهيم وصعب الزبيري بقي وفيا لإسحاق حتى مات فقال فيه قصيدة رثاه فيها: [1]

أَتدرِي لِمنْ تَبكِي العُيونُ الذَوارفَ وَينهلُ مِنهَا وَاكفٌ ثُم واكفُ

نعمْ لامرئٍ لمْ يبقَ في النَّاسِ مثلُهُ مفيدٌ لعلـمٍ أو صديقٌ ملاطفُ

آراء مصعب غي النقد:

يشير لنا زكي مبارك أن مصعب كان من الكتاب والنقاد الممتازين إلا أن نقده لم يصل إلينا بطريقة تفصل ما كان له من أصول وقواعد بسبب ما تفرق من آرائه وبالاستئناس على ذلك نرى كيف كان يحكم على الشعراء وكيف كان يرى الشعر حيث كان في كلامه صدق العاطفة التي تعد أساسا لجودة الشعر البليغ، فيشير لنا الكاتب أن مصعب كان يذكر بكثير من القدماء الذين كانوا يحكمون للشعراء، حيث كان يرى أبا العتاهية أشعر الناس ويلمح أن النقد يتأثر باختلاف الأذواق وأن لا يجب أن يرضي كمت كان يرضي الأقدمين من قبل وبعد نقدنا لمصعب في شيء يستحق التقدير فالكتاب يوضح أنه بعد بحث طويل رأى في أن مصعب من ناحية لها حظ عظيم من الأهمية وذلك لأنه أراد التنويه بما أبدع ابن أبي ربيعة من التعابير.[2]

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 192.

[2]- المصدر نفسه، ص 196 .

الحوادث الجدية في حياة عمر ابن أبي ربيعة:

يقف الكاتب عن الجوانب الجدية من حياة ابن أبي ربيعة الغزلية التي لم يرد الناس إلا تبع النساء ويؤكد لنا أنه كما أشار من قبل أن حوادث عمر الغرامية من وضع الخيال، فيتعجب من جهة أنه لا أحد من القدماء أو المحدثين التفتوا إلى حياة هذا الشاعر الجدية حيث عاش سبعين سنة، تحدثوا عن ولعة وهو آه توقف بعد الأربعين وودع حياة اللهو والعبث، حيث زكي مبارك يتساءل كيف كانت حياته بعد الأربعين وكيف أمضى ثلاثون سنة الباقية وكيف أنه لم يتحسر على شبابه ولم يبكي عليه ولم يتوجع من مشيبه.[1]

فيخبرنا المؤلف هنا أننا لا نعلم شيء من الفصل الأخير للرواية لأنهم بعد انتهاء الفصل الثاني أسدلوا الستار عن بقية الحكاية فذكر أن رسول عمر توسل إلى الثريا لتعطف عليه حيث عنت بحديثها أن ابن أبي ربيعة فارغ وهم في شغل كأنها كلمة مألوفة من ربات الحجل ينوه الكاتب أن للقارئ علم بخصوم البرامكة دسوا إلى الرشيد من هذا الشعر فثار بالبرامكة، فيروي لنا أن الحارث كان ينهاه عن قول الشعر وأنه كان لا يقبل منه وروي أنه أعطاه مالا على أن يقول الشعر، فأخذ المال وخرج إلى أخواله.[2]

من وجهة نظر الكاتب أنه لا يصدق أن ابن أبي ربيعة ذهب إلى أخواله ليفر من نساء الحجاز لا يقبل بأنه قبل من أخيه الرشوة ليقول أنه ربما ذهب من أجل شؤون خاصة وجدية لكن الرواة لم يتحدثوا عنه لذا بقي مجهولا.[3]

أما صاحب الأغاني فذكر أن مسعد ابن عمور قام بإخراج ابن أبي ربيعة إلى اليمن في أمر عرض له والثريا تزوجت وهو غير حاضر أما الغرض الذي أخرج من أجله عمر فلم يعرف، ذكرت قصته ما هي إلا دلالة على أن عمر المخزومي كان لازال في لهو ه وإتباعه النساء، خاصة بعد

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 198.

[2]- المصدر نفسه، ص 199.

[3]- المصدر نفسه، ص 201.

قصيدته التي قالها في اليمن وكان متشوقا للحجاز، لذلك عرف أنه لم يكن بالرجل الذي يقبل من أخيه رشوة فهذا ليس من شيمه ولا طبائعه.[1]

المطلب الثالث: الملح والفكاهات.

يوضح لنا الكاتب في هذا الجزء أنه أراد أن يختم كتابه من الملح والفكاهات التي تتصل بعمر ابن أبي ربيعة ليتبين للقارئ كيف كانت تجري الشادرة على ألسنة الحجازيين في ذلك الزمان، حيث عمر انشد ابن عتيق في معنى قوله أنه ترى عينه شبيها للثريا، فيذكر أن محمد ابن سلام تحدث بأن سوداء كانت بالمدينة مشغوفة بشعر عمر ابن أبي ربيعة ولما سمعوا أهل المدينة أكبروا ذلك وأما السوداء فكانت أشدهم وأكثرهم حزنا، وكلما مرت سكة من سكك المدينة إلا ندبته، حيث خاطبها أحد الفتيان بأن نشأ لإبن أبي ربيعة ابن عم له يشبهه شعره بنفس شعر ابن أبي ربيعة إثر ذلك أخذت تسمح عينيها من الدموع وتحمد الله على ذلك هذه كانت رواية صاحب الأغاني وينتقل لنا المؤلف إلى رواية زهر الآداب أن امرأة من مولدات مكة سمعت نعي ابن أبي ربيعة فبكت وتحسرت على ذهابه إذ لم يعد من يمدح النساء ويصف محاسهن ويتشبب بجمالهن وحسنهن، فأعلموها بفتى يشبهه وعلى طريقه فأنشدوها كما أنشدوا الأول فحمدت الله الذي خلق على حرمه وأمته.[2]

بعد ذلك يقودنا زكي إلى الإشارة على الإختلاف بين رواية القصة التي ذكرها " صاحب الأغاني"، وصاحب "زهر الآداب"، ما هي إلا دلالة على أن فيها أثرا للتحريف وأنه مان مشهورا في ذلك العصر ويذكر أن عمر قدم المدينة من أجل أمره من أهلها فأقام بها شعرا ثم خرج إلى مكة مع الأحوص وقاما بالإعتمار معا فالتقيا بنصيب وذبح لهما وقام بإكرامهما ولحقهما سائب، غير أن الأحوص انكسر ودخلت النصيب فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته قال له: وأنت يا ابن السوداء أخبرني عن قولك، أهيم بدع ما حييت فإن أمت فو.[3]

---

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص 203.

[2]- المصدر نفسه، ص 211.

[3]- نفس المصدر، ص 214.

مرورا إلى أن الثريا واعدت عمر أن تزور، فلما جاءته صادفت الحارث أخاه فألقت نفسها عليه فردها لذلك انصرفت وعند مجيء عمر اخبره الحارث ولعنه ولعنها.[1]

عاش عمر ابن أبي ربيعة الكثير من الوقائع التي زادت من شعره شهرة وانفرادا فقد قضي معظم حياته ماشيا رحالا يصنع الحدث أينما حل مما ساهم ذلك في تطوير وبلوغ شعره إلى أعلى المستويات.

وفي جزء آخر من سيرة عمر لي الملح والفكاهات يروي لنا الكاتب أن عمر ابن عبد العزيز لما أتى الخلافة لم تكن له همة إلا عمر والأحوص وجرت قصة حول الشعر وأم تقف عند عبد العزيز فقط بل ذكر سليمان ابن عبد الله أنه حج وهو خليفة فجرى بينه وبين أبي ربيعة حوار فأخرج أبي ربيعة إلى الطائف ومنعه من حضور الحج هذا العام، فاستبعد الكاتب كل هذا وشكك أن أنصار بني أمية أرادوا أن يبالغوا في وصف خلفائهم بالغيرة على الحرمات، وأن أتباع عمر بن الخطاب اخترعوا حكاية وجازت على الناس إلى يومنا هذا حتى أدخلها حافظ بك إبراهيم في قصيدته "العمرية"، وهي حكاية نصر ابن الحجاج.[2]

تقصى زكي مبارك عن أخبار الشاعر عمر وعن حياته وعن الجوانب الجدية والفكاهات التي عاشها ملمحا في ذلك أنه كان كثير الاشتغال بالدفاع عن قومه بني مخزوم، بالإضافة إلى حرصه الشديد على الإستبداد بالحياة الأدبية، حيث ذكره أنه كان معارض بكل من جرير الفرزدق وجميل، فذكر لنا حديث عمر مع مالك ابن أسماء حيث كان مفتونا بشعره وكان يتشوق إليه منذ أن سمعه، فلما تلاقيا وتعرف أحدهما على الآخر وأثنى أبي ربيعة شعره على الآخر وجمال شعره وحسنه لولا أنه لم يذكر فيه أسماء القرى لذلك رد عليه مالك أنها قرى البلد الذي يقطن فيه فوضح لنا من خلال هذا الحديث أن هناك شيء من الجدية في نقد الشعر وأن له اتجاهات أدبية في النقد غفل عنها الرواة

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص216.

[2]- المصدر نفسه، ص217

ولم يقوموا بتدوينها، فكان همهم الانصراف إلى حياته الغرامية فقط فلومهم على إهمالهم الجانب الجدي من حياته الذي لم يهتموا به ولم يضيفوه لحياته.[1]

وإغفالهم لعدد زوجاته وعدد أولاده وطريقه عيشه ومعاملته لهم ولا كيفية تربيته لهم ولا تصرفاته في استغلال أمواله بالإضافة إلى حديثهم على أنه بعد الأربعين هجر الشعر ولما كان في الطواف نظر إلى امرأة شريفة فكانت من أحسن خلق الله وعندما لم تجبه قال فيها شعرا فجزعت منه وحسب الرواة أنه مات في غزوة.[2]

لقد أهمل الرواة والنقاد حياة عمر ابن أبي ربيعة الخاصة واهتموا بسير غرامه وقصصه العشقي مهملين الكثير من تفاصيل حياته التي لم يدونوها لكن رغم هذا إلا أن رصيد عمر في الشعر أثرى الكتب والشعر في كافة العصور فجمال ودقة شعره تجعلنا نتغاضى عن كل ما ينقده أو يسيء إليه.

[1]- زكي مبارك، حب ابن أبي ربيعة وشعره، ص218

[2]- المصدر نفسه، ص 220

الفصل الثاني:

الغزل في شعر عمر ابن أبي ربيعة

المبحث الأول: الحب في شعر عمر

المطلب الأول: سيرته وحياته ونشأته

حياته:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغير المكي بأبي الخطاب يعود نسبه لأهم قبائل مكة وهي قبيلة قريش من فرع بني مخزوم، التي تعد من الذروة في قبائل مكة، وهي قبيلة ذات صوت مسموع، وشهرة عالية المستوى في الجزيرة العربية وهي ذات غنى، ويعدون من سادة قريش الأولين، فمنهم بن المغير الملقب برب قريش وأخيه الوليد بن المغير الذي فكر في السيرة النبوية، كان أبوه سيدا من سادات قريش وكانت أمه يمينة، ولدت سنة 644م (23 هـ في ليلة التي توفى فيها عمر بن الخطاب فسمى باسمه، وتوفي أبوه وهو دون الثانية عشر من عمره فقامت أمه على تربيته فنشأ نشأة كلها ترق ودلال، وكان جميلا فاجتمعت لديه عناصر الجمال والغنى والشاعرية فوجهته الى نمط من الحياة الناعمة اللاهية، وكان يقضي أيامه باللهو والعبث حتى إذا كان موسم الحج لبس الحلل الفاخر وخرج من مكة يتقى العراقيات والشاميات فيتعرض لهن ويتبعهن إلى مناسك الحج ويترقب خروجهن للطواف حول الكعبة فيضمهن ويشهر لهن في شعره.[1]

نشأ عمر بن أبي ربيعة في بيت امتاز بالغنى والثراء مما أتاح له أن يعيش وينال من اللهو ما لم ينله أحد من أقرانه في زمانه فقد أدى به ثراؤه إلى كل ما تضيف إليه نفسه ويقتني كل ما تراه عينه فهو يسكن بيت يكتظ بالجواري والسبايا مما جعله أن يكون فيما بعد خبيرا في نفسية المرأة لكثرة اختلاطه بالنساء وسماعه أحاديثهن ومعرفته لأسرارهن، يلهو كما يشاء بكل ما حوله لفتنته بدنياه، يلبس الحلي والزينة ليجتمع مع ذلك جماله، فقد كان عمر جميلا.[2]

[1]- دليلة بوراس، شعرية السرد عند عمر ابن أبي ربيعة ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، مسار أدب عربي قديم، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي ابن المهيدي ، أم البواقي ، 2014-2015 ، ص69.

[2]- شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف مكتبة الدراسات الأدبية ، دط ،1998،ص23.

حظى عمر بن أبي ربيعة بمكانة متميزة بين شعراء عصره، فقد كان شعره موضع إعجاب بالكثير من شعراء عصره، كما أعجب أيضا الكثير من النقاد والأدباء وهذا سبب الحفاظ على شعره ومتابعة أخبار شعره مع النساء بخاصة فق حسين بعده زعيم شعراء الغزل الحسي، أما الدكتور جبرائيل جبور في كتابه " عمر بن أبي ربيعة ينتقل أخذا عن الأصفهاني ما قبل في عمر وشعره.[1]

ولا شك في أن الاهتمام بتفاصيل سيرته وشعره وحياته وتدوين كل أمور حياته كان الامتياز شعره من شعر غيره.

إن شعر عمر يكاد يقتصر على الغزل ونقل إعجاب النساء به ووصف مغاتنها وجمالها ويمتاز شعره بتكرار ما تقول النساء فيه واحتيالهن للقاء به، إن الأحاديث المنقولة عن ألسنة النسوة تقدم صورة لخصائص لغة المرأة في عصر بني أمية.

إن الصورة والشعر والأوصاف والتعابير المصوغة ببراعة ودقة تجعل من شعر عصره نموذجا متميزا من شعر الغزل خاصة وأن ديوانه لا يدور إلا حول المرأة سوى قصائد قصيرة حتى وإن كان مادحا، فإنه يمدح من النساء ما طاب له من ذوات الجمال فيصف عواطف الوجد والشرب وألم البلغاء.

أما الفخر فلا يوجد في ديوان ابن ابي ربيعة سوى ثلاث قصائد وجملة من الأبيات المتفرقات القليلة جدا لدرجة أنها لم تبلغ الأربعين بيتا، حتى وإن نظمها فلم ينظمها إلا ولها علاقة بالنساء وبالتقرب منهن زلفة.

أما الرثاء فلم يذكر له إلا مقطوعة خالدة لحد الآن قال مقطوعة في رثاء قتلى أهل الحرة، وربما كان هو بين المدفعين عن المدينة، ولكننا نعلم أن الكثيرين من أقرباء الثريا (حبيبته) قتلوا يوم الحرة بحبه كلفت الغريض معنى عمر أن ينوح عليهم أفليس طبيعيا أن يقول عمر الشعور ثاء في قتلى الحرة إن كانت الثريا قد جمعت ببعضهم.[2]

[1] – شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص24.

[2] – جبرائيل سليمان جبور، عمر ابن أبي ربيعة، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،دط ،1935،ص196.

شعره وغزله:

لعمر ديوان شعري يكاد أن يكون كله في الغزل الذي يصور بيئة الترف الحجازية، تناول الغزل كغرض مستقل بحد ذاته تارة في مقاطع شعرية وغالبا في مقطوعات تشكل حدان معين أو قص معينة في أمور تكثر عند العشاق والمحبين وتقوم ميزة، عمر على ثلاثة دعائم رئيسية هي:

تغزله بنفسه: لان جد في شعر عمر تصوير اللوعة العاشق وحرقة المشتاق كما هو الحال عند أصحاب المذهب العذري مثل " جميل" بل نجد تصويرا لعزة المعشوق المحبوب، فهو يصف نفسه من خلال نظرة المرأة إليه بنفسه يقول بلسان صاحبه.

مَا أعجبَ النفسَ من شيءٍ تسرُ به أَوراقَ للعينِ إلا فوقهُ عمرُ

تصوير نفسية المرأة:

يصور عمر بعض الجوانب من نفسية يصورها فخورة بجمالها وتارة أخرى يصورها شديدة الغيرة والحسد إذ لقيت امرأة أجمل منها، ومن ذلك ما يقول في مطلع قصيدته الدالة:

ليتَ هندَ أنجزتْ ما تعدُ وشفتْ أنفسنَا من ما تجدْ

واستبدتْ مرةً واحدةً إنما واحدةُ العاجزِ من لا يُستبدْ

القصص الغرامي:

يظهر ذلك واضحا في قصيدته الرائية من أل نعم، فقد عمد الشاعر على أسلوب القصص يروي لنا ما جرى عندما أراد

بدار نعم، وكان قصصه حكاية أكثر مما كان أقصوصة لأنه مالي فيه عن علم النفس وتحليل الأزمة في ذلك العلم إلى عالم الظاهرات والطريق فيما تتلفظ العين والأذن.[1]

[1]- دليلة بوراس ، شعرية السرد عند عمر ابن أبي ربيعة ،ص70.

المطلب الثاني: صورة المرأة في شعر عمر ابن أبي ربيعة

حسب عباس محمود العقاد لم يكن عمر مغرورا ولا تياها كما أنه لم يكن كاذب الحب ولا متكلفه وإنما كان صادق الحب، ستقول فكيف يلاءم ذلك ما زعمت من أنه كان يتبع النساء جميعا بحبه لا يكاد يدع امرأة إلا يتعرض لأخرى وكان عمر ابن أبي ربيعة مع ذلك صادق الحب ذلك انه لم يكن عذريا لم يكن يحب بعقله ولا بقلبه وإنما كان يحب بحسه ليس غير لم يكن حسه يطيع قلبه فيرى جمال المرأة ليخلع عليها ما شاء له الشعر من الصور الرائعة والخلابة وليجد ما شاء له الحب من وجد لا حد له، كان عمر كلما أحب امرأة أنه لم يحب أبدا امرأة كما احبها وأنه لن يسلو عنها مهما تبدل من الأحول وتختلف ظروف الحياة وكان صادقا في هذا كله ولكنه لم يكن يلبث أن يقول هذا الشعر حتى يحب امرأة حبا ليس له بمثله عهدا ولن يكون له بمثله عهدا وإن النساء كنا مفتونات به فكان لا يقف عند مظهر من مظاهر الجمال حتى يخلبه مظهر أخر وكان لا يكاد يسمع ثناء امرأة حتى يستهويه ثناء امرأة أخرى فكان طمعه متصلا وأمله لا حد له.[1]

حسب طه حسين عمر هو زعيم الغزلين من أهل الحضر في عصره لا يختلف في ذالك الناس فقد تحس فيما تقرؤه من أخبار هؤلاء الغزلين أن الرواد كان يصنعون عمر من أهل الحضر بإزاء جميل من أهل البادية فكان عمر زعيم الغزل الحضري حينما كان جميل زعيم الغزل البدوي ولكن شعر جميل قد ضاع ولم يبقى لنا منه إلا شيء قليل جدا فلم يبقى بسيل من إلى المقارنة بينه وبين عمر الذي حفظ الدهر لنا شعره كله أو أكثره ولذي استقامت لنا أخباره وصحت لنا طائفة من الحوادث المتصلة بحياته فأصبح من اليسير أن ندرسه ونعلم فيه رأيا مقاربا أو صحيحا فإذا كان عمر هو زعيم الغزلين في العصر الأموي فيجب أن يكون زعيم الغزل في الأدب كله ومن هذه الناحية أرى أن الأدباء والمؤرخين لن يستطيع أن يقدر هذه النعمة التي أتيحت لهم حين حفظ الدهر لهم شعر عمر كله أو

[1]- عباس محمود العقاد، شعر الغزل عمر ابن أبي ربيعة، دار المعارف ،مصر، ط2 ،1955 ، ص28.

أكثره فلست أعرف شاعر إسلاميا استطاع أن يمثل العصر الذي كان يعيش فيه و البيئة التي كان يحيا فيها كهذا الرجل الذي نستطيع أن نرجعه مرجعا في درس الدولة الأموية.[1]

إن المتصفح بديوان عمر ابن بي ربيعة نجد أن قسما كبيرا من غزله في وصف النساء اللواتي أحبهن أو تعرض لهن في شعره، وكان يرى أن خبر وسيلة يصل بها إلى قلوبهن وينال رضاهن ، وهي أن يصف محاسنهن ويمدحهن ويبدوا من أخباره وأشعاره أن بعض النساء كن يرغبن في أن يذكره في شعره، وأن يصفو محاسنهن فيه، وتفتخر بذالك المرأة التي وصفها على أترابها ففي إحدى قصائده وصف صاحبته وقد تعرى ذات يوم أمام جارتها لتتبرد، وسألتهن بشيء من الإعجاب بجمالها متسائلة هل يبصرها جارتها كما يصفها عمر أم أنه يبالغ في تصويرها وذلك في قوله:

زَعَموها سَأَلَت جاراتِها وَتَعَرَّت ذاتَ يَومٍ تَبتَرِد
أَكَما يَنعَتُني تُبصِرنَني عَمرَكُنَّ اللَهَ أَم لا يَقتَصِد
فَتَضاحَكنَ وَقَد قُلنَ لَها حَسَنٌ في كُلِّ عَينٍ مَن تَوَد[2]

ومن خلال وصفه نلمس ذوقه في الجمال، فهو من خلال ما يصف به المرأة يتبين أنه كان ذواقا للجمال وبأخص الجمال المادي فوصفه يتميز بتوسع فهو يتناول الجسم بأكمله ويصف كل جزئية فيه كاللون والقامة ومن حيث تناسق أعضائه.[3]

تكمن محاسن المرأة وجمالها الجسدي العضوي في نظر الشعراء في تناسق الأعضاء وانسجامها بالإضافة إلى الجمال المعنوي الذي يعنى بالروح والأخلاق والفضائل، فقد كانت لا تكاد تختلف أوصاف النساء الجميلات في العصر الأموي اختلافا عن أوصافها في عصر ما قبل الإسلام، حيث أن الشعراء استخدم نفس الألفاظ تقريبا لكن ذوق الشعراء غفي هذا العصر تغير، كما اتخذوا الطبيعة خير معين وساعد الشعراء منذ عصر ما قبل الإسلام في وصف المرأة وجمالها فاتخذوا منها كل ما يرونه جميلا

[1]- طه حسين، حديث الأربعاء، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، دط ، 2012، ص 312
[2]- جبرائيل جبور، عمر ابن أبي ربيعة ، ص210.
[3]- فايز محمد، ديوان عمر ابن أبي ربيعة، دار الكتاب العربي، مصر، ط2، 1996 ، ص321.

وشبهوا به أعضاء المرأة ولم يقتصروا على الطبيعة فقط بل أشياء مرتبطة بحياتهم مثل السيف والذهب والكافور والرمح، وإذا القينا نظرة على أوصاف المرأة التي تغزل بها عمر ابن أبي ربيعة فنجد أنه غلبها وصف الجمال المادي العضوي، حين تغزل بفتاته فذكر أنها ناصعة البياض كالقمر قال:

غَراءُ واضِحَةُ الجَبينِ كَأَنَّها قَمَرٌ بَدا لِلناظِرينَ مُنيرُ

وتارة أخرى شبهها بالشمس تعمي عيون النظيرين في قوله:

وَتَراءَت عَلى البَلاطِ فَلَمّا واجَهَتنا كَالشَمسِ تُعشي العُيونا[1]

شكلت المرأة دور فعال وكبير في شعر عمر المخزومي مما جعله ينفرد بشعره عن شعراء عصره.

لم يكن ابن أبي ربيعة معنيا بامرأة واحدة شأن العاشق ولا بالنساء حيث كان شأن مغرم بالنساء عامة، وانم كان معنيا بالمرأة من بنات طبقة خاصة هي الطبقة التي ينتمي إليها فلا جرم يبرع غيره في مدرسة الشعر التي تدور قبل كل شيء على أحاديث الظريفات، ويحظى عندهن في مجالي لم يكن إلا مجال المناوشة بالأحاديث فليس في شعره كله يتبدل على سطوة رجل يروع الأنثى بما تميل إليه فطرتها وإنما يدل شعره على لباقة المتحدث وطرافة المسامر وأناقة الظريف المعروف بوسامته وشارته.

وكل ما في شعره من معرفة بطبع المرأة فإنما هو مقصور على الجانب التي يتناوله المناوش اللبق الذي يثير اهتمامها تارة بحب الثناء وتارة بالأعراض وتحريك الغيرة أو لغو الفضول ، ومن لواضح أننا أردنا بصدق ابن أبي ربيعة في الرواية عن المرأة صدق الرواية الفنية، ولم تتجاوزه في البحث، وفي صدق الرواية الخبرية وبيان ما حدث وما لم يحدث من أخباره في جميع شعره، فهو لا يقدم ولا يؤخر فيما نحن بصدده.[2]

وحسبنا أنه تخيل فأصاب التخيل أنه عاش زمنا على النحو الذي وصفه في بعض قصائده، وما من شك بعد ذلك في أنه قد أعتمد على الخيال كثيرا ونازع منزع القصاصين كثيرا وأضاف من عنده ما لم يرد على لسان صاحبه له ولا صاحب لمن اشد إليهم الكلام والحوار.

[1]- فايز محمد، ديوان عمر ابن أبي ربيعة، ص323.

[2]- عباس محمود العقاد، شعر الغزل عمر ابن أبي ربيعة، ص30.

وقد سره هو أحيانا أن يفهم الناس أنه يقول ما لا يفعل وأنه داخل في حكم القرآن الكريم على الشعراء عامة أنهم يقولون مالا يفعلون فذلك أسلم له وأليق بالسمت الذي كان يتخذه بين ذوي لوقار حين يقول إنه يتجنب المحضورات، وأمثال قصائده الوصفية كثير يلاحظ لكثرته ولابد أن يدل على ذوق خاص في استحسان مواضع الحسن من النساء ولنا أن نحسبه دليلا على التعبير المطبوع دون أن نبعد في الدلالة لكنه كان زير نساء وليس لزير النساء الذي يلقى الكثيرات منهن أن يطمع في متعته أسهل ولا أشبع من الحديث والتقبيل، وكلاهما مما يغري من محاسن لأفواه.[1]

فلا جرم يكلف الشاعر بمحاسن الثغور التي تشتهي منها الأحاديث والقبل ولا يغفل عن وصفها والتغني لمتعتها ومتى قيل أن عمر ابن أبي ربيعة كان يحمد مكن محاسن المرأة ما يحمده الرجل الذي نشأ بين العرب في بيئة الحضارة والنعمة وكان بوحي من مزاجه وفراغه مشغوفا بمعاشرة النساء فقد قيل أنه شاعر صادق الحس مطبوع التعبير.

كانت الصلة الجنسية أساس الحياة الأدبية وغايتها بالقياس إلى عمر ابن أبي ربيعة، فهو لم يكن يتصور المرأة على أنها مكملة للرجل لا يستطيع أن يعيش بدونها كما أنها لا تتصور أنها تعيش بدونها، ولم يكن عمر بقصد هذه الصلة الجنسية على معناها المادي وحده، وإنما كان يريدها واسعة متناولة جميع أطراف الحياة ولست أشك أن ابن أبي ربيعة كان صديقا للمرأة بمعنى الحديث الذي نفهمه لصداقة المرأة، كان يريد لها من الحرية مثل ما يريده للرجل، وكان يريد أن تكون صلة الغزل بين الرجل والمرأة صلة ظاهرة لا حرج فيها ولا جناح، وكان يريد أن تظهر المرأة فخرها بجمالها وروعتها كما يظهر الرجل فخره بشجاعة وبأسه وكان يريد أن تستفيد الجماعة الانسانية من خلال المرأة، كما تستفيد من خلال الرجل بالإضافة إلى أنه كان يريد أن تزول الفروق بين الجنسين وأن لا يكون بينهم حجاب[2]، وسواء علينا أن شعر بذلك أو لم يشعر، أكون فيه رأيا صريحا أم لم يكن فهناك لم يكن

[1]- عباس محمود العقاد، شعر الغزل عمر ابن أبي ربيعة، ص36.

[2]- طه حسين، حديث الأربعاء ، ص319.

شيء لا شك فيه وهو أن شعر به أبي ربيعة كله ليس إلا تغنيا بجمال المرأة وتأثيرها بحياة الرجل ومكانه من نفسه، وكان كل شيء في حياة المرأة وسيلة إلى الاتصال بالمرأة وذكرها وتحدث إليها.[1] ولنختصر حكمنا في عمر ابن أبي ربيعة كان هذا الحب حسيا صادقا منتقلا بطبعه شديد التأثر في النساء إلى حد الفتنة، وقد فتن عمر النساء وتيتمهن فأخذن بطريقة ..... عليه حتى فتن بنفسه فلم يتغنى بحبه إياهن كما تغنى بحبهن إياه، هو في هذا كله مشبه كل الشبه (ليبير بوتي) لا فرق بينهما إلا من ينشأ من اختلاف أطوار الحياة ولكنني لم اثبت شيء مما قلت عن عمر بشيء من شعره ويعد عمر شاعرا مبتكرا كل يشهد له بالبراعة القدرة فهو الذي جعل العرب تشهد لرقش في الشعر وهو الذي يحلف بحياته الكثيرون.

المطلب الثالث: الحسية في شعر عمر ابن أبي ربيعة

لقد نال شعر عمر ابن أبي ربيعة مكانة كبيرة لم ينلها الكثير من الشعراء العرب في العصر الجاهلي أو الإسلامي ونجد في شعره الخصائص التالية:

1- تخصصه بشعر الغزل:

في العصر الأموي كان هناك شعراء كثيرون تغزلوا بالنساء قالوا كثيرا من شعر الغزل وشهروا به لكنهم لم يقصروا شعرهم على الغزل كما قصره عمر فقد تخصص به محاولا اتقانه وقد قصر شعره أو كاد يقصره على التغزل بالمرأة والولع بجمالها أن وجدها فكان شعره على وصف النساء من بنات عصره فمدح النساء وذكر جمالهن.[2] ووصف عواطف الوجد والشوق ولوعة الفراق ولذة الوصال ولم يكن تغزله بالأميرات الأمويات أو غيرهن لليل من ذويهن أو التنديد بهن بل كان يزعم أن بعضهن كان يسعين وراءه، وهو لم يبتغي ومن وراء شعره هذا أن يقلد العذريين لمجرد التقليد حتى حين عارض

[1]- طه حسين، حديث الأربعاء، ص320.

[2]- جبرائيل جبور، عمر ابن أبي ربيعة ، ص342.

جميلا فقد اقتبس عمر من جميل وقلده وكان جميل يشبب بحبيبته، فأما عمر فكان يشبه بكل جميلة ولو لم يكن بينه وبينها مودة وصار له في لتشبيب طريقة عرفت باسمه وحاكاها الشعراء.[1]

وقد عدو شعره ضارا على الآداب فابن جريح قال ما دخل (العوائق) في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر عمر ابن أبي ربيعة وقال هشام ابن عروة لا ترو فتياتكم شعر عمر ابن أبي ربيعة لئلا يتورطن في الزنا تورط. [2]

كما يعبر غزل عن نزعات الترف وحياة اللهو والعبث وهذه الحياة اللاهية شجع على شيوعها عوامل معينة وهكذا كان الأمر بالنسبة لشعراء الغزل الصريح في الحجاز اذ كثرت في العصر الأموي مجالس الغناء والطرب واللهو وكثر شعائر هذا الضرب من الغزل وكان عمر أشهرهم[3] ورأى شوقي ضيف أن خير من يمثل هذا الغزل عمر ابن أبي ربيعة وعلى شاكلته رفقاءه من شعراء مكة والمدينة الذين أترفتهم الحضارة الأجنبة لداخلة حديثة في مواطنهم حيث أترفت أذواقهم ومشاعرهم كما أترف ذوق الفتيات والنساء المواطنات لهم[4]، وإذا ما تتبعنا شعره في الديوان نجده يتغزل حتى بشريفات المجتمع في عصره.

ورأى طه حسين أن عمر كان عمليا محققا في الأرض لا في السماء ولم يكن يريد أن يذهب مذهب العذريين لأنه لم يكن عذريا ويعد عمر أظرف مثال للعصر والبيئة الذين كان يعيش فيهما يعد شعره وثيقة تاريخية لحياة الطبقة الأرستقراطية المشرفة في الحجاز في القرن الأول الهجري وخير من صور الحياة المرأة العربية المشرفة وحياة النعمة والدعابة.[5]

---

[1]- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، دت، ص28.

[2]- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني ، تح: سامر جابر، دار الفكر، بيروت، ط2 ،دت، ص83.

[3]- محمد العناني، ديوان عمر ابن أبي ربيعة، الدار القومية للطباعة، مصر، 1930، ص472.

[4]- ينظر: باقر عبد الغاني، دراسات في الأدب العربي، مطبعة العاني، بغداد ، ط1، 1976، ص138.

[5]- شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، مصر،دط ، 1977، ص 51.

- **الإعجاب بالنفس:**

وعمر في غزله يلهب قلوب الفتيات حبا ومن يتمنين عطفه وحبه وليس هو مبادر لذلك، بل يصور حب الفتيات والنساء له فعمر في غزله معشوقا لا عاشقا، وكثيرا مكان عمر يعجب بنفسه فيجعل النساء هن اللاتي يتغزلن به بدلا من بهن وهذه النرجسية في شعره وهي تعد سبب المرء لنفسه واعجابه بجماله وحسنه حيث يقول:

بينمَا يذكرُ من ابصرنِي دونَ قيدٍ الميلِ يعدونِي الأغرُ

قالتْ الكبرَى اتعرفنِي الفتَي؟ قالتْ الوسطَى نعم هذا عُمر

قالتْ الصغرَى وقد يتمْنهَا قد عرفناهُ وهل يخفَى العمرَ[1]

إن ظاهرة الاعجاب بالنفس في شعر عمر بسببها في راي شوقي ضيف تعود إلى نشأته فقط نشأ نشأة دلال عندما توفى أبوه وهو في الثانية عشرة فقامت أمه على تربيته حيث كان جميلا وكانت هي غربية فشتد ولعها بابنها وكانت تبالغ في هباته وزينته وعطره وكان لهذه التربية أثر عميق في نفسيته فاستمر ذلك طول حياته وهو يظهر في غزله في مظهر فارس الأحلام المنتطي حصانه الأغر، وهن يقعن في غرامه، فهو اذا تكلم أو عبر في طريق فانه يجلب إليه أنظار الفتيات يقول:

ولنْ أبصرتنِي أو سمعتنِي سكينَ فرقعنَ الكوايَ المحاجرْ[2]

وعمر في ذلك يعبر عن تطور جديد في الحياة العربية فقبله كان شخص المرأة هو الموضوع المعروف للغزل وليس شخص الشاعر والنقد ما لا يترك عند العذارى وأقصى ما يتركه أن يفتح الطريق إلى عتاب واقل ما يكن عمر في حبه.[3]

[1]- – ينظر: أمقران شعبان ، غزل العباس ابن الأحنف وعمر ابن أبي ربيعة "موازنة وتحليل "، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي،ص18.

[2]- ينظر:المرجع نفسه ،ص19.

[3]- محمد العناتي، ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي، ص493.

وعمر في عزله صورة لمجتمعه الذي حدثت فيه تغييرات اجتماعية كثيرة، والتحضر الذي أصاب المرأة وإقبالها على حديث الرجال وما يكون بينها وبينهم من رسل ومن غزله نستطيع أن ننفذ إلى معرفة الكثير من المحركات النفسية للمجتمع العربي في مكّة والمدينة وما أصابه من تبدل تحت تأثير الحضارة الجديدة إذ أتاح لنا بواسطة هذا الحوار في الديوان بين السيدات عن جماله أن تتعرف كثيرًا من جوانب الحياة المعاصرة له، وخاصة حياة النساء وما نلن من حظوظ في الحرية، وأيضا فإنه كشف في أحاديثهن عن جوانب كثيرة من نفسياتهن.

– فشعره يصف هذه الحياة التي كان يحييها في موسم الحج، ويظهر من هذا الشعر أن لهوه كان على نوعين:أحدهما برئ لا يتجاوز النظر والحديث، فيذكر الفتاة ويصف جمالها ويشير إلى أن غايته من التصدي لها هو فقط معرفتها والتحدث معها مثل قوله:

فلمَا رأيتُ الحسَ في رسمِ منزلٍ سفاهَا وجملاً بالفؤاد الموكلُ

فقلتُ لهم:سروا فإن لقاءهَا توافِي الحجيجُ بعد حول مُكَمَل[1]

– أما النوع الثاني فله وفيه دعابة وفسق، فكان الشيطان يزين له موسم الحج فرصة تتيح له اللمو

– والمرأة التي يتغزل بها عمر متحضرة مبالغة في تحضرها، فالمرأة التي نجدها في عزله كانت من ذوق متحضر تملك الحرية تقبل على الرجال بأكثر مما كانت تقبل عليه المرأة قبل عصر الإسلام فقد أبرز القصة في شعره في مواضيع كثيرة ويظهر هذا الأسلوب جليا في رائيته المعروفة (أمن آل، نعم) التي زادت شهرته ومكانته بين الشعراء و(نعم) فتاة احتلت جزءًا كبير من ديوانه إذ تعد هذه القصيدة من أطول قصائده فرحلته إليها كانت ليلا ومغامراته تدور غالبا في الليل وسمي الليلة بليلة.[2]

[1]– محمد يحي العربي عبد الحميد شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة بمصر ط1،1981،ص 484.

[2]– شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مطبعة جامعة، دمشق، ط3، 1959 ،ص 482.

– والليل أصدق أصدقاء الشاعر... إنه مهاد مغامراته ومسرح مؤامراته وخفاء غاياته، وقد أحبه وترقبه أوصى به استماع وصيته... إن بينه وبين عمر مثل الذي بين الشجر والظل والإشارات على ذلك في شعره كثيرة، فمن ذلك قوله:

فليعدنَا موعدَ لا نلتقِي فيه نومًا

وليكنْ ذلك إذ أمَا انتصفَ الليلُ بهيمًا[1]

– يعد عمر بن أبي ربيعة مدرسة الشعرية العربية الحضرية، مما حاز على تناوله كظاهرة معينة من قبل:شوقي ضيف، وشكري فيصل وعبد القادر القبط ومن اللافت للنظر أن معظم من تعرضوا له بالدراسة قد وصفوا شعره بالحسّية، خلافا لشعراء الغزل العذري إذ أن شعرهم لم يوصف بهذا الوصف بل وصف بالعفة والطهارة والحشمة.

– ولم يصدروا حكمهم من قالوا أنه يتصف بالحسّية على دراسة شعره بل على دراسة مغامراته التي يعتبرها شيء من الحسّية بغض النظر عن شرعيتها، والحق لو تأملنا شعره بعامّة وشعر مغامراته بخاصة نأمل مدرك واعي بصير، لألفينا عمر بن أبي ربيعة في شعره غير حسّي كالشعراء الجاهليين مثال امرئ القيس في مغامراته مع ابنة عمّه عنزة وكذلك مع أم الرباب وأم الحويرث، فأمرؤ ألقيس كان حسّيا بكل ما للكلمة من معنى، يصف جسد محبوبته منساق وعنق وشعر...إلخ، ويصف ما يحدث في مغامراته من مضاجعة وقبل وعناق ولنأخذ نموذجا من معلقته يقول في وصف الجسد:

مُهَفْهَفة بيضاءُ غير مفاضة ترابهَا مصقولة كالسجنجلِ[2]

كبكرُ المقاناةِ البياضِ بصفرةِ غداهَا نميرُ الماء غيرَ المحللِ

[1]– محمد يحي العربي عبد الحميد ،شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي، ص 248.

[2]– ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1967، ص182.

– فهذه الأبيات فيها دلالة واضحة على مادية الشعر عند امرئ القيس وحسينة، ولكن حقيقة هذه النماذج في شعر عمر بن أبي ربيعة فلقد كانت الغاية ذات الشأن عنده الأمر الفني ليس إلا فإن ذكر شيءً حسّيا أوفيه رائحة حسّية فإنما يجنده لخدمة تلد الغاية الفنّية، قاصدًا منها إخراج القالب المميز بغية إمتاع السامع لهذه القصائد، وآية قولنا وبرهانه:أن قصيدة عمر غالبا لا نجد الحديث فيها عن شيء من المتعة الحسّية أو رائحتها إلا مجرد إشارات وإيماءات ولو ربطنا أحداث المغامرة التي يكون قد مهد فيها للقاء المحبوبة والخليلة بتلك الإشارات الحسّية لما تناسب الحجم ولكان غير لائق بهذا المجهود أن يقترن به تلك الإشارة الحسّية إلا أن كان قد أتى بها ليتمم مغامرته منهيا لها، ولو تأملنا رائيته التي تقع في خمسة وسبعين بيتا لوجدنا ما سبق الحديث عنه، فلقد مهد عمر بن أبي ربيعة فيها للفاء بأربعة وثلاثين بيتًا، ثم يختم قاءه بقوله.

فبتُ قريرَ العينِ، أعطيتُ حاجتِي أقبلُ فاها في الخلاء فأكثرِ [1]

ويعلق القبط على هذا البيت بقوله "ولسنا نريد هنا أن نناقش أخلاقية هذه المتعة أو شرعيتها ولكن نريد أن نبيّن أن مثل هذه الإشارات أبعد ما تكون عن الحسّية بمعناها المعروف في الفن والأدب حين يلح الشاعر أو الفنان علة إبراز الملامح الجسدية المادّية الخالصة وتصوير المتع والشهوات تصويرا فيه كثير من التجسيم والتفصيل.

وهناك إشارات من خلالها عزوف الشاعر وحرصه على اجتناب الخوض في الحديث عن لهيه ومغامراته وتجاربه بعد أن وصل، قدرته الفنية الإبداعية واستهلكها في تلك التجارب حسب ما تهوى الأنفس وتشتهي في معرض وصف السعي للقاء المحبوب نفسه وخير مثال على هذا الذي ذكرنا قوله من قصيدة طويلة له.

[1]– أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ص92.

فيا طبىَ لهومًا، هناكَ، لهوتهُ بمستمتعٍ منها وبأحسنِ منظرٍ [1]

– فهذه الأبيات لا تحتوي على غير الكنايات والرموز "يبدو تلطف الشاعر فيها واضحا حتى لا يفرق في وصف حسّي لم يكن من قصده الفني أن يغرق فيه وهو لهذا حين يصف محاسن المرأة يبدو كأنه يقفي واجب التقليد الفني الذي يقتفي في مثل هذا المقام أن يلم الشاعر شيء من هذا الوصف.

– وفي ختام قولنا لا نتفق مع من وصف شعره بالحسّية أمثال طه حسين وشوقي ضيف بل نتفق مع القبط في وضع عمر موضعا لا يوصف بالعذريين فيكون منهم ولا بالحسيين، كما في المعنى العميق، فيكون منهم وإنما هو شاعر مرموق يصف مغامراته بإشارات رائحتها حسّية.[2]

[1]– القبط عبد القادر:في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1979، ص85.

[2]– الغالي أبوعلي الأمالي، تحقيق :إسماعيل يوسف التونسي، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط1، 1917 ،ص46.

المبحث الثاني: المقومات الفنية في شعر المخزومي.

المطلب الأول: تأثير ابن أبي ربيعة في شعراء اللغة العربية.

– أثر عمر في شعراء عصره وحملهم على الاعتراف بتوفقه عليهم في مذاهب النسب، فغلب على شعراء عصره.

– ومن بين من تأثر بهم امرئ القيس فجاراه في الحديث عن حوادث الليل ومدافعة الأعراس ومطاوعة الصبا والحب في هصر أعواد الحسان، وفي الحق أكثر ما مرّ م شعر ابن أبي ربيعة بذكرنا في الغرض والأسلوب بقول امرئ القيس:

وبيضةٍ خدرٍ لا يرامُ خباؤهَا تمنعتْ من لهو بهَا غيرُ معجلِ

تجاوزتْ أحراساً إليهَا ومعشرًا علي حراصاً لو يسرونَ مقتلي

– فعلى هذا المنهج جرى ابن أبي ربيعة في محاكاة امرئ القيس، ولكن أستاذنا الدكتور طه حسين يعكس القضية، فيقرر أن امرئ القيس هو الذي حاكى ابن أبي ربيعة إذ يفترض أن شعر امرئ القيس منحول وضع شاعر إسلامي تأثر بعمر بن أبي ربيعة فحاكاه، وإيجاد المحاكاة والتقليد عنده أن هذا النحو من القصص الغرامي في الشعر هو فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكر احتكارا ولم ينازعه فيه أحد وأن من الغريب أن يسبق امرئ القيس، هذا الفن ويتخذ فيه هذا الأسلوب [1]ويعرف عنه هذا النحو ثم يأتي ابن أبي ربيعة فيقلده فيه ولا يشير أحد من النقاد أن عمر قد تأثر بامرئ القيس مع أنهم قد أشاروا إلى تأثير امرئ القيس في طائفة من الشعراء في أنحاء الوصف، وأنه يبعد أن يكون

[1]– طه حسين حديث الأربعاء، ص 310.

امرئ القيس هو منشئ هذا الفن من الغزل الذي عاش عليه ابن أبي ربيعة، والذي كون شخصية عمر الشعرية ولا يُعرف له ذلك.[1]

– ولنرجع فنذكر أننا بحثنا طويلا عن شاعر سلك مسلك عمر ابن أبي ربيعة في مخاطبة النساء فلم نجد من يقاربه غير بشار بن برد الذي شهد آخر أيام بني أمية وصدر دولة بني العباس ففي شعر بشار قرب من منهج ابن أبي ربيعة في محاورة الغواني والتودد إلى الملاح، وفيه كذلك تألق في وصف الجوانب الحسّية من المرأة المجدولة الخلق المشرقة الجبين.

– والخلاصة أننا لا نجد شاعرا بعد عمر بن أبي ربيعة وفق حياته وشعره على النسب بالنساء وأن كنّا لا ننكر أن كثيرًا من الشعراء نحو منحاه في القصص الغرامي، وإن لم يعرفوا بذلك.

وحدة القصيدة:

– القصيدة العربية والمطاولة بوجه خاص، تقوم فيما تعرف على تعدّد الأغراض والكثير منها أنها قد تكون في أصلها النفسي ذات غرض واحد ولكن طبيعة التقاليد الشعرية لم تكن تسمح بهذا التفرد للغرض الواحد والاقتصار عليه، كان لابد للشاعر من هذا الذي أسموه بنهج القصيدة العربية وكان لابد له في هذا النهج من وقف على الإطلال، ومن حديث عن الناقة وما يجري إليه الحديث عن الناقة من مشاهد الصّيد ووصف الثور والصياد فإذا جاز الشاعر ذلك جاز له أن يعدوه إلى غرضه.

– وقدرة عمر في دفع الشعر العربي أنه جنّب قصيدته هذا التعمّد أثر للدلي جانب من أمر الأغراض الشعرية الأخرى، ولذلك كانت قصائده قصائد الحب لا شرك به شيء، وإن كان حبه يقوم على الإشراك والتكثر.[2]

[1]– طه حسين حديث الأربعاء، ص 311.

[2]– فيصل شكري تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، ص 384.

– وليس شعر عمر من هذا النحو نموذجا واحدًا متكررا في مقولاته وقصائده ومقطوعاته في مقولاته إنما يعرض قصة فنية، كثيرة المواقف متعددة الشخوص أما في قصائده فإنه يوجز ذلك أو يعف عن جانب منه، ثم تكون المقطوعة التفاتا إلى نحو أو استجابة للفتنة بارزة أو تعبيرا عن موقف طارئ لا يحتمل الأناة الفنّية ولا يبلغ أن يكون قصة مطولة.

ومعنى هذا أن عمر يظل في كل ذلك يحتفظ بوحدة الغرض في قطعة الشعرية وإن كان يخالف فيما بينها في ألوانها وآفاقها.

– غير عمر ملامح شخصيته في قصيدته، فأصح غير عمر الذي عرفناه في الرائية التي كان فيها الإنساني المستعلي المدل وكانت صاحبته تقر له بهذا الاستعلاء وليس هذا الأمير المؤمر والمدّل بنفسه وبجماله وإنما هو الذي إذّ له الحب فخضع لصاحبته ونوع السيل إليها وترك لها أن تستعلي ملكة قلبه ودفعته إلى الإغراء وأبكته ويغلب عليه العبس أكثر مما يمسه من الحد.

– ومن هنا كان لهذه القطعة قيمة خالصة إنها وجه آخر من شخصيته وجانب جديد من نفسيته ومن يدري فلعل هذا الجانب أن يكون هو الجانب الأصيل في العمر وأن يكون الاستعلاء الذي صادفنا في القطعة السابقة وتصادق في كثير من القطع الأخرى إنما هو الصبغ الذي أراد عمر أن يصبغ به ومع ذلك ففي حياة المحبين والغزلين لحظات، وليس ينتظم كل هذه اللحظات إيقاع واحد وبخاصة حين يكون الأمر مع مثل كثرة صواحب وتعدد الأهواء، ولكن قيمة هذه القطعة ليست في هذا فحسب، وإنما قيمتها في أنها تساعدنا في اجتلاء بعض خصائص الغزل العمري من حيث طبيعته، كما ساعدنا على اجتلاء بعض خصائصه من حيث أسلوبه.[1]

– وحدة الغرض عند الشاعر والتجديد في قصيدته:

[1]– فيصل شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص 383.

– فحين نعرض شعر عمر لا نكاد نجد إلاّ الغزل، وان ثمة بعض الشعر الذي نلقاه منورا يتصل بالحكمة أو الوصف أو الفخر ولكنها ليست حكمة مجردة ولا وصفا مبعدا من الغزل وإنما هي كلها تنتهي إلى الغزل وتصب فيه أو تنشعب منه وتجيء ذليلة له فقد وصف في أعقاب الرائية الكبرى ناقته وطريقه وتحدث له عن رفاقه ينصون بالموصاة خصوصا في سبعة أبيات، إرادة:

إرادةً أن ألقاكَ يا أثلَ والهوىَ كذلكَ حمّالُ الفتَى كل محملِ[1]

– وقد يكون لعمر شعر في الأغراض الأخرى لم تقع عليه ولكن دراستنا إنما تمتد آفاقها في النطاق الذي وصلنا منه، فأما الذي لم نعرف عنه بعد فأمره الذي يكشف عنه المستقبل من نصوص وإن كان كثرة من الأخيار تتظاهر على انه انقطع إلى الغزل واختص به.

المطلب الثاني: خصائص شعر عمر بن أبي ربيعة .

أ- السرد في شعر عمر بن أبي ربيعة:

يعد السرد من الخصائص البارزة في شعر ابن ربيعة، فقد عمل على تقديم الأحداث في شعره على نحو تسلسلي مترابط ومتناعم ساهم في رقي شعره وفيها لي العناصر الأساسية التي تقوم عليها خاصية السرد.

الراوي: يمثل هذا الصفر في تتبع صوت الراوي في سياق السرد لمعرفه المتكلم في الحكاية، بالإضافة إلى معرفة التداخلات التي يكون بها الراوي ضمن سرد الحكاية، فالمتكلم يكون مثلا في حالتين الأولى أن يكون راويا للحكاية وهو خارج عنها والثانية أن يكون جزءا من الحكاية وداخلها وذلك بكونه شخصية تتمثل في الحكاية، وهذا يكون على هيئة مشاهد غير مسارا للأحداث ومسارها من بعيد مع الانتقال من مكان لآز[2]، أو يكون شخصية رئيسية في الحكاية، ومن الجدير

[1]– فيصل شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، ص 390.

[2]– هناء جواد العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي (دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون) ، دار الرضوان، عمان، ط1، دت، ص 39.

بالذكر الراوي إذا كان مشاركا في الحكاية بالمشاهدة يضيف إليها بعض التعليقات التي تدخل ضمن سلاسل الأحداث، وتكون هذه الإضافات واضحة وملموسة، ففي تقطع تسلسل السرد في الحكاية أما إذا كانت مشاركة الراوي بالبطولة فيصعب تمييز هذه الإضافات كونها تتداخل مع سار السرد على نحو مقهر ويجب الإشارة إلى أن صوت عمر بن أبي ربيعة هو البارز في ديوان أشعاره، فالقصائد تدور حوله فكان هو الراوي فيها [1].

الشخصيات:

يعد هذا الصفر من أهم العناصر في النص السردي الذي يرتكز عليها الراوي، فقد ساهم من جذب القراء إلى العمل الأدبي، كلما كانت الشخصيات تثير القارئ على تشبعه، كما يعرف معجم لسان العرب لابن منظور لفظه الشخص على أنها كل جسم له ارتفاع، وظهور يراد به إثبات آلات ومن الجدير بالذكر أن أفكار النص السردي لا تتوضح دون شبكة الشخصيات المترابطة معا، أو كما يقول الكاتب رولان بارت في كتابه (النقد البنيوي للحكاية) انه لا يوجد نص في العالم يسرد بلا شخصيات، فكاتب القصيدة والرواية لا يمكن أن يكتب دونها [2]،كما أن هذا الصفر اتصالا مع كافة عناصر النص السردي، وهذا ما أشار إليه الكاتب ضياء غني في كتابه (البنية السردية في شعر الصعاليك) حول الشخصيات فهي تمثل العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنه كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الأخرى، بالإضافة إلى كون الشخصيات عالما يتناول جميع مظاهر السرد وكافة العواطف والمخاوف كما وصفها الكاتب عبد الملك مرتاض في كتابه القصة الجذارية المعاصر، وفيما يلي تقسم الشخصيات والأمثلة عليها.[3]

[1]– هناء جواد العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي (دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون) ، ص40.

[2]– نضال إبراهيم يابس، تقنيات القص الهازل في غزل ابن أبي ربيعة، مجلة أدب البصرة،كلية التربية ،جامعة البصرة ، العدد 55، سنة 2011، ص 26.

[3]– المرجع نفسه، ص 28.

المحكي: يتمحور هذا العنصر حول الأحداث التي تروى داخل النص السردي، فالحدث من العناصر الأساسية لبناء هذا النص، كما يتناول الحدث الشخصيات والحوارات الحاصلة بينها في بنية وزمان ملائمين لهذا الحدث وهذا كله فمن نسق متسلسل ومرتب يجعل القارئ منجذبا تتبعه لهذه الأحداث، ومن الجدير بالذكر أن الأحداث الرئيسية قد تصحب بأحداث ثانوية لإثراء الحدث الرئيسي الذي هو عماد قصة القصيدة، ويجب الإشارة إلى أن ديوان ابن أبي ربيعة مليء بالأحداث التي تصحب قارئها إلى عوالم الحب، والمحبين كشاعرهم وأحاسيسهم وتعد قصيدته (الرائية) من الأمثلة الواضحة على قيامه بعرض تسلسل الأحداث وربطها مع انتقاله من حدث لاز بسلاسة [1]، وفيما يلي تسلسل الأحداث للقصيدة:

- الذهاب لمقابلة (نعْم) وهي محبوبة عمر بن أبي ربيعة.
- الوصول إلى شمل إقامة المحبوبة وعدم القدرة على رؤيتها.
- ترقب موعد نوم القوم في حذر.
- دخول الليل وذهاب القوم إلى النوم.
- الغرق على المحبوبة من رائحتها، ثم الاقتراب من خيمتها.
- صدمة المحبوبة عند رؤيتها للشاعر.
- ذكر الحوار الذي نشأ بين الشاعر والمحبوبة.[2]

الحوار: هو كل ما يدور بين شخصيات النص السّردي، كما أنه من أهم العناصر التي يرتكز عليها الكاتب أو الشاعر لتصوير الشخصيات، ويجب التنويه إلى أن الشعار أبي ربيعة اشتملت على الحوارات المتصلة بالسّرد فالسّرد يتناول الأحداث الحاصلة ووصفها والتعريف بالشخصيات، والحوار

[1]- نضال ابراهيم يابس، تقنيات القص الهازل في غزل ابن أبي ربيعة، ص 23.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

يتمثل بكلام المتداول بين هذه الشخصيات، ومن الجدير بالذكر أن أبي ربيعة تميز في تحكمه في الحوارات الواردة في أشعاره بمهارة، فينتقل بين "قلت لها" و"قالت لي"، ويكثر هذا في قصائده فقصيدته الرائية مثلا مبنية على حوار أساسه (عمر) ومحبوبته نعم.[1]

المكان: يعتبر هذا العنصر بمثابة العمود الفقري لأي نص، وهذا على حدّ قول الكاتب مما الحديث في كتابه " بنية النص السّردي "فهو يرى أن العناصر الأخرى التي تكون النص تسقط تلقائيا إذا اختفى هذا العنصر يجب الإشارة إلى أن عنصر المكان يشكل هيكل من هياكل الكلام في النص السردي، ومن الجدير بالذكر أن المكان يظهر بهيئة متلونة حسب الشخصية في شعر أبي ربيعة.[2]

الزمان:يتم هذا العنصر في استطاعته نقل الأحداث والشخصيات من بيئة الحدث تتغير كثيرا عند وجود الزمان كشعر للعنصر يحدث تغييرا فيها والزمان لدى أبي ربيعة أما أن يكون محددا بوقت أو غير محدد يكون مفتوحا.

– ثنائية الرجل والمرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة:

وقد وجدنا في شعر زعيم الغزليين (عمر بن أبي ربيعة) أدلة كثيرة على تقدم الجسد على الروح، يقول الدكتور جبور (كان عمر في شعره يصف الجمال الجسدي وصفا حسيا دقيقا في بعض الأحيان، ويصف متعته الحسّية، ومع ذلك لم يخل شعره في كثير من المواضع مع عاطفة حب صادقة، ذلك لأنّه كان في الوقت نفسه يحب غير الجمال الجسدي فقد كان يروق الحديث الفدية والخلق الطيب والنفس الرضية والجانب الروحي أو الحسي الذي لا يقتصر على الجمال الجسدي وحسب، بل لهما صلة وثيقة بعناصر كثيرة من الجمال الإنساني، من سمو الثقافة، وطيب الحديث، ورقة الروح، وصفاء النفس وغيرها من المزايا الروحية، أن عمر كان يحب الجمال المتكامل في شتى نواحيه [3]برزت

[1]– هناء حواء العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي (دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون)، ص 50.

[2]– المرجع نفسه، ص 55.

[3]– المرجع نفسه، ص58.

في شعر الحب العمري ظاهرة أساسية واضحة المعالم إلا وهي ظاهرة حضور الرجل حضور المرأة ضمن ثنائية الآن (لا أنت).

حضرت المرأة حضورا جميلا في شعر عمر بن أبي ربيعة ومزقت الصمت الذي أخرسها سنوات طويلة، اذ كانت مستمتعة فقط بابنها الحبيب نجواء، يصف محاستها، يشكو..يصرخ..وهي صامتة وهنا كان الغياب.[1]

يتجسد الحضور الفعلي للحبيبة

لقد برزت المرأة شخصية عاشقة متجاوبة متفاعلة في الصور التي أظهرها الشاعر، وأخذت ذاته تتضاءل ليكون هو بؤرة الإشعاع في حوارها مع صاحبتها، فبرزت صورة ذلك الفتى الذي غير لونه سرى الليل والتهجير في النهار يضحى في الشمس وتحفيز في العيش، ألف أشعار متنقل في الصحراء.

ويرى الدكتور وليم تفوه أنّ عمر بن أبي ربيعة كان رائدا متقدما على عصره يملك رؤية مستقبلية لتطوير مفاهيم الحب وأسس العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة لذا حرص على حضورها عاشقة متكاملة مع الرجل.

لقد تجسدت ثنائية الحضور الدائم لطرفي الآن الأنثى هذه القصيدة مع ثنائية نعم أسماء لذلك يتجسد تصور الستار لتعلق المرأة به كما يتأكد حيث ثنائية حضور... غياب الشخصية وحضور الشخصية غياب الذات في الثنائيتين يكون الثار بؤرة الإشعاع في القصيدة، وتكون المرأة مصدر هذا الإشعاع فهي الصورة الجميلة التي تعني وحياته وهي شغله التفاعل ومن أجلها ترك كل شيء.
ومن خلال قراءتنا لديوان عمر بن أبي ربيعة برزت صورة العاشق الناطق بلسان الحبيبة، إذ كانت حاضرة معه من اللحظة الأولى، وبحضورها استطاع أن يرسم هذه الصور الفنية التي بنية على أساس التجاوب العاطفي والحب المتبادل بينهما وهذا كثير جدا في ديوانه.[2]

[1]– هناء حواء العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي (دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون)، ص 37.

[2]– المرجع نفسه، ص.65

لخص شعراء الغزل بهذه أهمية فأدخلوا المرأة في دنيا الغزل شخصية عاشقة تتغزل بحبيبها كما يتغزل بها، واحد وهذا التجاوب العاطفي بين الرجل والمرأة فجاء نزلهم صورة كاملة صادقة لمحتوى تطور الحب من كل جوانبه قال عمر بن أبي ربيعة:

أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ غَداةَ غَدٍأَم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ

لِحاجَةِ نَفسٍ لَم تَقُل في جَوابِها فَتُبلِغَ عُذراً وَالمَقالَةُ تُعذِرُ

تَهيمُ إِلى نُعمٍ فَلا الشَملُ جامِعٌ وَلا الحَبلُ مَوصولٌ وَلا القَلبُ مُقصِرُ

وَلا قُربُ نُعمٍ إِن دَنَت وَلا نَأيُها يُسلي وَلا أَنتَ تَصبِرُ[1]

ولعل أبرز ما يلاحظ في القصيدة محاولة الستار التغبير عن واقعة وأحاسيسه تجاه المرأة، اذ تبدأ القصيدة بتشكيل ثنائية أساسية هي السائر نعم تسود بين طرفيها علاقة بعد زماني ومكاني تشير إليها صيغة الاستفهام التي ظهرت في البيت الأول.[2]

كما تشكلت ثنائيات متعددة ضمن إطار العام للثنائية الأساسية لعل هذه الثنائيات تكشف عن شخصية الشاعر التي شغفها الحب أو شغفت نفسها به فعانت كل أوضاعه وعاشت بين اليأس والأمل في جميع الشكل وتفرقة وبين العبر والجزع في القرب والبعد.[3]

ويمكن أن نعد هذه الأبيات مقدمة غزلية تعبر عن صفات الشاعر النفسية اتجاه الحبيبة. نعم وهي تمهيد للحكاية التي سيقصر الشاعر ومن خلالها.

الشعر القصصي عند عمر بن أبي ربيعة:

إذا قرانا شعر عمر بن أبي ربيعة، فإن لا يمكن أن ندعي بأن أقاصيص هذا الشاعر قد اكتملت لها عناصر القصة الحديثة ومقوماتها، فإن زعما كهذا يعد تعسفا في تكليف الآثار الأدبية القديمة أحكاما حديثة، ولكننا مع هذا نرى فيها براعة هي رسم وأساسيتها وما يدور في أعماقها من

[1]- هناء جواد العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي دراسة في ثنائيات الشكل المضمون ، ص 70.

[2]- المرجع نفسه، ص75.

[3]- المرجع نفسه، ص 77.

نزعات وما يسيطر على حياتها من دوافع وأهواء وما يجري على لسانها من غنج ودلال، حيث نجد في بعض القصائد روح السرد البسيط كقوله:

قُلتْ فِيمَا البُكاءُ والحزنُ قَالتْ لِلتِي قَدْ عَلقتْ دُونَ المُهللَة

وَبلغنَا وَاللهِ وَصلكَ أُخرَى بَعد عَهدٍ فَقلتُ يَاعبدُ كَلاَ

فالقصة هنا تخلق موقف من الموافق ليس منقطعا تمام الانقطاع عن الحياة، وليس هو موقف الحياة بعينه، فهناك قصة حب تفي تبدأ بدلال الحبيبة، وباتهك العاشق الولهان في إقامة أكثر من دليل على والشاعر يجد نفسه مسلما بهذه العوائق من اجل الاستمتاع بالحب، خاصة بعد أن يطلعه عليها صديق مؤتمن دخل على اللوحة المرسومة دخولا طبيعيا، ففي بعض أبيات أمر بن أبي ربيعة نجد فيها قصصا تعادل الواقع[1]، وهي خالية من الشوائب الفنية، حيث تصل الأحداث فيها دربه عالية من التوتر الذي يكون من نوع خاص، إذ هذه المشاهد تشبه إلى حد ما قصة قصيدة مكثفة بتوترها الدرامي الذي يبلغ الذروة وتتصاعد الأحداث فيه وتنمو من خلال عنصر المفارقة حتى يأتي الصراع إلى النهاية وتتجلى بدور القصة الحديثة من حلال الحدث الذي يقدمه الشاعر حيث تنمو حياة ثم تموت، كما أنه يحدد الزمن تحديدا واضحا فالشاعر يحدد الزمن يقدم أماكن محصورة ومحددة، ومما يزيد الأمر ضيقا والحضارة، قافية أهم التي تتطبق كما الشفتات.[2]

كما يشمل الشاعر في بنيته الشعرية السردية بالظرف الزمني لقصصه، وهو أمر لا يكاد يختلف عما نعرفه حتى الأقصوصة المعاصرة، إلا بروح الأسلوب الداخلي، فالأقصوصة المعاصرة، تعنى بتحليل نفسية الأشخاص، ويكون العقدة أزمة في النفس، وتأتي الحوادث مطية للتغيير عن النفس ونتيجة للحالة النفسية، ومثل تعنى بتحليل نفسية الحبيبة تحليلا إنسانيا جذريا، وإنما نفسي سطح

[1]- مراد بوزكور، جماليات البنية السردية في الشعر القصصي عند عمر ابن أبي ربيعة، مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية ، العدد الرابع، لسنة 2017، ص172.

[2]- المرجع نفسه، ص173.

الأشياء ومظهرها الخارجي، فتكسو المأساة، بجو من الطرافة[1] النادرة التي ترفه عنا، فتكثر الحوادث فكأنها قصة يعظم تأثيرها في الناس.

أما غزل عمر في أغلبية بني على نحو من البناء السردي، وهو بناء غير كامل من حيث القصة بالمعنى الحديث، فليس فيه التواء وليس فيه تركيب ولا تحليل، ومع ذلك نلاحظ أن الخيال قد لعب دورا مهما في هذا القصص، كما يلعب عادة في أقاصيص من يقصون إذ يخرجوننا من عالمنا إلى عالم جديد لهم يملئونه بخيالهم.

وكذلك كان الشاعر، فقد يملؤه بكثير من أخيلته فهو قصاص في غزله: يتخيل، قم يقص ما يتخيل، سواء حيث يصف مغامراته كما صنع في القطعة السابقة، او حين يهدف أحاديث النساء فيه وتعلقهن كقوله:

قَالتْ لِتربيهَا بُعمرٍ كمَا هَلْ تُطعمَانِ بِأنَ نَرى عُمرَا

أَني كانَ النَفسُ مُوجهٌ وَلذاكَ أَطْمعُ أنه حَضرَا[2]

ويبرز في البناء السردي للقصة الشعرية عند عمر، قدرة هذا الشاعر على لعب الأدوار التمثيلية والمسرحية قصد التستر من العداء في مواضع عدة، وهي كل موضع تظهر .... في البناء الفني لتلك القيم التمثيلية من خلال محاولة الستر عن الهوية وهو أمر يفسره عامل الخوف من العدو الذي يتربص به من كل مكان.[3]

ويأتي البناء السردي للقصة الشعرية من خلال الاهتمام بالحدث ما يؤدي إلى توسع مجرى القصة، ما يبرهن على تقدم الشاعر بغنى القصص الشعري على امرئ القيس فهذا الشاعر على مكانته الشعرية لا تعثر عنده على عناصر واضحة للقصة الغزلية كما نجدها عند عمر، فامرؤ القيس،

[1]- مراد بوزكور، جماليات البنية السردية في الشعر القصصي عند عمر ابن أبي ربيعة، ص174.

[2]- المرجع نفسه، ص175.

[3]- المرجع نفسه، ص 176.

أو تعيين للعناصر الزمان والمكان بينما نجد في رائيه عمر اكتمالا ولو نسبيا في عناصر القصة وميزات الفن الحديث، وازداد هذا القصص جمالا حيث أغناه ابن أبي ربيعة بكثير من القيم التمثيلية، وكأن جوانب تلك المغامرة مسرحية متعددة القصور يدور كل فصل في إطار معين بين مضارب القوم، وخباء الفم أو مجلس الأخوات الثلاث واجتياز ساحة الحي، وهكذا...[1]

ففي نهاية المغامرة يحرص الشاعر على أن تبق نشوة اللقاء تتمتع بكل الخصائص الجمالية للقصة من رحاب وابتسامة ومرور لتكون النتيجة النهائية هي تحويل ذلك المكان المخيف إلى مكان محبب.[2]

لفت عمر بن أبي ربيعة نظرا الباحثين والنقاد في شعره، ولعدم ألفه في تقاليد الغزل، وكما يوحى به من شذوذ في تكوين عمر النفسي، بدفعة إلى أن ينزع هي[3] غزله هذا المنزع الغريب، الذي يجعل منه موضوعا للغزل ويجعل من المرأة الطرف المتغزل، فيتبادل وإياها الموقف الغزلي في وضع معكوس وعاطفة معكوسة.

المطلب الثالث: نقد الشعراء لشعراء غمر بن أبي ربيعة

لاحظ الدكتور طه حسين من قبله، معللا هذا الاتجاه في غزل ابن أبي ربيعة، بما يشبه أن يكون إعجابا بالنفس، أو افتنانا بالذات نرجسية فيقول " وقد فتن عمر النساء ويتمهن، فأخذت يطرينه ، فلم يتغن بحبه إياهن، كما تغن بحبهن إياه"

ورأى الأستاذ العقاد رأيا أخرا في تفسير هذا الجانب من صورة المرأة في غزل ابن أبي ربيعة إلى جانب أنثوي في طبعه، يظهر للقارئ من أبياته الكثيرة، التي تتم عن ولم بكلمات النساء، واستمتاع

[1]- مراد بوزكور، جماليات البنية السردية في الشعر القصصي عند عمر ابن أبي ربيعة، ص 177.

[2]- المرجع نفسه، ص 179.

[3]- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى، سنة 1408هـ 1986، ص 379.

بروايتها، والإبداء والإعادة فيها، مما لا يستمر به الرجل الصارم الرجولة، ولا أدل من دلعه بكلمات النساء على الجانب الأنثوي في طبعه، أن كان يشبههن في تدليل نفسه أو إظهار التمنع لطالباته.... ولعل جانب الأنوثة فيه لا يظهر من شيء، كما يظهر في تدليل اسمه، يبين تلقيت، وكناية وتسمية، كما يعهد في أحاديث النساء، فهو تارة أبو الخطاب، وتارة المعيزي، وتارة عمر الذي لا يخض كما يخص العمر.[1]

وأشباه هذه الأنثويات التي يقارب بها المرأة في المزاج، ويسايرها في الحديث، ومن قبل هذه الأنثويات أنه كان يقول:

لقد كنت وأنا شاب اعشق لا اعشق.... وهذا حديث من هو عاشق لنفسه قبل أن يكون معشوقا لغيره، ففيه خلفية المرأة، أن تشعر بجنسها مطلوبة، ولا تشعر بجنسها طالبة....

وإلى قريب مما ذهب إليه الدكتور طه حسين من الافتتان بالنفس، والإعجاب بالذات، ذهب الدكتور شوقي ضيف، مع رعاية منه الأثر بيئة ابن أبي ربيعة العامة والخاصة في هذا الاتجاه الغزل[2].

وفي رأي الدكتور شوقي ضيف أن عمر بذلك يعد شخصية فريدة في عالم سواء الغزل " لأن عمر نفسه ليس من العمل أن يوجد مرارا، إذ لابد للشاعر أن يكون له ثراء عمر، وأن تكون له أمة التي عاشت له، وعاشق تعشقه، وأيضا لا بد أن يوجد مجتمع مكة، وما فيه من نساء أحبن شيئا من الحرية فكثر الاختلاط بينهن وبين الرجال، على نحو ما كثر بين نساء مكة وابن أبي ربيعة " ثم ينتهي إلى القول بأن العاطفة قد انعكست عند عمر وشدت هذا الشذوذ الذي حوله من عاشق إلى معشوق.

[1]- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص380.

[2]- المرجع نفسه، ص382.

ولا نرا.. نخالف هؤلاء الباحثين فيما وصفو به هذا الاتجاه في نزل ابن أبي ربيعة، الذي جعل منه معشوق للنساء ولأننا لا نملك هذه المخالفة إزاء نصوص شعره التي تصور للنساء يطاردنه، ويتمن لقاءه ويتصيدن له ويتوددن إليه بالنظر وبالحركة من مثل قوله:

فَعَرَفنَ الشَوقَ في مُقلَتِها وَحَبابُ الشَوقِ يُبديهِ النَظَر

قُلنَ يَسترَضينَها مُنيَتُنا لَو أَتانا اليَومَ في سِرٍّ عُمَر

بَينَما يَذكُرنَني أَبصَرنَني دونَ قَيدِ المَيلِ يَعدو بي الأَغَر

ويكفي في التعليق على هذه الأبيات قول رفيق عمر وصاحبه ابن أبي عتيق، وكان ذا بصر بالشعر أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك كان ينبغي أن تقول: قل كما ، فقالت لي، فوصفت هذي فوطئت عليه.

وهذه النظرة النقدية من أبي عتيق تبنى عن خروج عمر عن المألوف في الغزل وتنبهه إلى القاعدة التي سار عليها الشعراء من قبله، والتي جعلها ابن رشيق من مقاصد القول، وعبر عنها بقوله: "فإن سبّ ذل وخضع"[1].

بقيت تهمة الأنثوية التي فسر بها الأستاذ العقاد صورة المرأة العاشقة في غزل عمر لأنّه حكى لغة الأنثى في هذه الصّورة، وذهب مذهب البناء في معانيه وأسلوبه.

والحق أنّ عمر بريء من هذه الوصمة براءته من دعوى الشذوذ النفسي والعاطفي فليس به أنوثة ولا خنوثة، ولكنه شاعر فنان، يرى حق الفنّ فيما يختار من أساليبه الأداء، ومادام قد أجرى الشّعر على لسان النّساء وأنّها رهن موهبته في التعبير الفني عن المشاعر ليكتشف عن مكنون ضد ورهن فمقتضى الخلاص الفني أن تكون لغة هذا الشّعر لغة أنثوية، لينة رقيقة، تمتاح من القاموس اللغوي لمجتمع النساء، بلغة الرجال الصارمة، التي يلاحظ الأستاذ العقاد خلو هذا الشّعر منها.

[1]- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص382.

أية هذا كله أننا لا نتهم عمر في صحته النفسية ومزاجه العاطفي، واستواء رجولته، إذ ما دعته دواعي الفنّ ، ووجهته خبرته الشّخصية إلى تصوير بعض نساء عصره عاشقات هو موضوع عشقهن وإلا لا، تهمنا تلميذه العرجي بمثل ذلك، وهو الرجل الذي أسهم بجهاده في الدفاع عن ثغور الدولة الإسلامية[1].

[1]- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص.390

النقد وتقويم

يتميز زكي مبارك في نقده النفسي بأنه كان ينظر آلة القصيدة ككائن حي ويتعايش معها ومع شاعرها ومع البيئة التي قيلت فيها القصيدة ونفسية الشاعر عندما انشد القصيدة، واستخدم المنهج النفسي على مصادرة البارودي دون المناهج الأخرى وذلك بسبب الاشتراك النفسي في هذه المعارضة الشعرية لأنها لم تدرس فنيا أو تاريخا وإنما درست نفسيا بالإضافة إلى ذكره التحسر على أيام الشباب ويحكي على علة نفسية في قلب الشاعر مما استنبطها مبارك وجعلها في مسار نقده النفسي دون المناهج الأخرى.[1]

تعرض كتاب زكي مبارك حب ابن أبي ربيعة وشعره للنقد فالبعض رأى أنه تفوق على شعراء عصره وأضاف الكثير للقصائد وأنه سميت باسمه وتأثروا به العديد من الشعراء القدامى وأن شعره يتسم بالجدية وله العديد من الاتجاهات الأدبية.

أما بعض الأخر فنقد مبارك أن كتابه يفتقد إلى حياة ابن أبي ربيعة الشخصية فمعاملاته داخل بيته مع زوجته وأولاده واستغلاله لأمواله يتحدث على الجانب الغزلي ومغامراته الغرامية مع النساء وأسرهم لقلوبهن وغفلوا عن هذا الرواد ولم يقوموا بتدوينه .

بالرغم من كل هذا النقد الذي يوجه للكاتب والكتاب إلا أنه من أسمى الكتب الأدبية بايجابياته التي أثرت المكتبة ويعتبره الأدباء والنفاد وكل ذي طالب في هذا المجال مصدرا لأبحاثه ومرجعا أساسيا لنجاح رسائلهم الأدبية.

[1] -WWW. HINDAWI .ORG .JUIN . 23 :26.MERCREDI.

خاتمة

خاتمة:

حظي عمر بن أبي ربيعة بمكانة متميزة بين شعراء عصره، فقد كان شعره موضع إعجاب الكثير من الشّعراء في عصره، كما أعجب الكثير من النّقاد والأدباء فيما بعد، وهذا سبب الحفاظ على شعره، ومتابعة أخبار شعره مع النّساء بخاصة، فطه حسين عدّه زعيم شعراء الغزل الحسّي، أما الدكتور جبرائيل جبور في كتابه عمر بن أبي ربيعة ينقل أخذا عن الأصفهاني ما قبل في عمر وشعره.

لقد عنيت هذه الدّراسة بالوصول إلى حبّ ابن أبي ربيعة لشعره وتفننه، في شعر الغزل حيث شغلت عنده سمة فنّية شعرية ميزته عن سائر نظائره، من خلال تتبعنا لموضوع البحث توصلنا إلى النّتائج التّالية:

- مثلث المرأة نقطة حساسة في حياة عمر بن أبي ربيعة وشعره فهو لم يقصر قلبه وشعره على واحدة بل سعى وراء الجمال أينما وجد.
- اختلاف منهجه في الغزل عن باقي الشّعراء فعمر الذي وصفه الدّكتور طه حسين بالشّاعر المحقّق الذي يبتغي الحبّ في الأرض لا في السّماء لم يكن عاشقًا بالمعنى الحقيقي، وإنّما كان حبّه أدنى إلى اللّهو والعبث منه إلى الحبّ الصّادق، وكان يتعشّق الجمال أنّى وجد.
- الاستعلاء سمة بارزة في شعر عمر بن أبي ربيعة فهو معشوق أكثر منه عاشقًا، والمرأة التي كانت تسعى إليه وتتصدى له.
- تميّز شعر عمر بالأسلوب القصصي والمعتمد على الحوار البيّن شخوص قصصه، ولا سيما في قصائد المغامرة واللقاء.
- الثّراء الذي تمتع به الشّاعر جعله يتفرغ لهذا اللون الرقيق من الشعر فصاغ لنا أجمل صور الحبّ وأعذبها.
- قدرته في دفع الشّعر العربي في تجنبه التّعدد مما جعل قصائده لا تشرك به شيئًا حتّى وإن كان حبه يقوم على الإشراك والتّكثر.

- تفرقه على شعراء عصره في مذاهب النسيب وتأثيره الكبير في شعراء اللغة العربية آنذاك.
- براعة عمر من سر الخبر وتوفيقه في احترام الشّعر في قالب سردي.
- ميول الشّاعر في النظم على البحور الطويلة ولا سيما البسيط والطّويل والكامل والخفيف والسّريع.
- ميول لغته الشّعرية إلى ما يسمى بشعبية اللغة والقرب من لغة الحياة اليومية مع حرصه على المحافظة على جزالة ورقة اللغة، والعمق في التّعبير عن عواطفه وأفكاره من خلال عمق التّجربة وشدّة العاطفة وممّا تميّز به استعماله كثير من ألفاظ النّساء في شعره.
- يمكن القول أنّ الشّاعر ابتدع لنفسه طريقة جديدة ومغايرة مقارنة بشعراء عصره في الإبداع تجسّدت في غزله الفريد وخروجه عن مألوف معاصريه أو سابقيه بامتياز، فيعتبر شعره تصويرًا حقيقيًا للحياة في العصر الأموي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا القول أنّنا بذلنا وسع الطّاقة فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف ط2 1967 م.
2. أبو فرج الأصفهاني، الأغاني ، تح: سامر جابر، دار الفكر، بيروت، ط2 ، دت.
3. زكي مبارك، حب عمر ابن أبي ربيعة وشعره، مدينة مصر، القاهرة.

المراجع:

1. أنور الجندي، زكي مبارك دراسة تحليلية لحياته وأدبه "1892-1952"، دط، دت.
2. باقر عبد الغاني، دراسات في الأدب العربي، ط1، مطبعة العاني بغداد 1976.
3. جابر عصفور، دراسة في التراث النّقدي، ط5، 1995.
4. جبرائيل جبور، حب عمر ابن أبي ربيعة وشعره، دار الملايين، ط1، 1971
5. جبرائيل سليمان جبور، عمر ابن أبي ربيعة، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت، دط ،1935.
6. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، دت.
7. شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، مطبعة جامعة، دمشق، ط3، 1959.
8. شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف مكتبة الدراسات الأدبية، دط، 1998.
9. شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، مصر، 1977.
10. صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى، سنة 1408هـ- 1986.
11. طه حسين، حديث الأربعاء، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، دط، 2012.
12. عباس محمود العقاد، شعر الغزل عمر ابن أبي ربيعة، دار المعارف ،مصر، ط2، 1955 .

13. الغالي أبو علي الأمالي، تح: إسماعيل يوسف التونسي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1917.

14. فايز محمد، ديوان عمر ابن أبي ربيعة، دار الكتاب العربي، مصر، ط2، 1996.

15. فيصل شكري، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام بيروت، دار العلم للملايين، ط6، 1983م.

16. القالي، أبو علي، الأمالي، تحقيق اسماعيل يوسف التونسي، مصر القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1917م.

17. القبط عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1979م.

18. محمد العناتي، ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي، الدار القومية للطباعة، مصر، 1930.

19. محمد يحي العربي عبد الحميد شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، مصر، ط1 1381.

20. هناء جواد العيساوي، شعر الغزل في العصر الأموي (دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون)، دار الرضوان، عمان، ط1، دت.

مذكرات التخرج:

1. أمقران شعبان ، غزل العباس ابن الأحنف وعمر ابن أبي ربيعة "موازنة وتحليل "، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي ، مسار أدب قديم ، كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي ابن المهيدي، أم البواقي، 2011-2012 .

2. دليلة بوراس، شعرية السرد عند عمر ابن أبي ربيعة ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، مسار أدب عربي قديم، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي ابن المهيدي ، أم البواقي، 2014-2015.

المجالات:

1. مراد بوزكور، جماليات البنية السردية في الشعر القصصي عند عمر ابن أبي ربيعة، مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية ، العدد الرابع، لسنة 2017.
2. نضال إبراهيم يابس، تقنيات القص الهازل في غزل ابن أبي ربيعة، مجلة أدب البصرة، كلية التربية، جامعة البصرة ، العدد 55، سنة 2011.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

كلمة الشكر

إهداء

إهداء

مــقدمة.....

مدخل.....

نبذة عن الكاتب والتعريف بالكتاب.....

الفصل الأول: تلخيص الفصل الأول من كتاب "حب ابن أبي ربيعة وشعره

المبحث الأول: من النفس إلى النفس..... .....

المطلب الأول: المحاضرة الأولى ....

المطلب الثاني :المحاضرة الثانية ....

المطلب الثالث: المحاضرة الثالثة. ....

المبحث الثاني: نوادر وأخبار عمر ابن أبي ربيعة. .....

المطلب الأول: أخبار الملاح. ....

المطلب الثاني: تأثير ابن أبي ربيعة في شعراء اللغة العربية.....

المطلب الثالث: الملح والفكاهات. .....

الفصل الثاني: الغزل في شعر عمر ابن أبي ربيعة

المبحث الأول: الحب في شعر عمر..... .....

المطلب الأول: سيرته وحياته ونشأته.....

المطلب الثاني: صورة المرأة في شعر عمر ابن أبي ربيعة.....

المطلب الثالث: الحسية في شعر عمر ابن أبي ربيعة .....

المبحث الثاني: المقومات الفنية في شعر المخزومي. .....

فهرس الموضوعات

المطلب الأول: تأثير ابن أبي ربيعة في شعراء اللغة العربية. .....

خصائص شعر عمر بن أبي ربيعة المطلب الثاني في اللغة العربية.....

المطلب الثالث: نقد الشعراء لشعراء غمر بن أبي ربيعة .....

النقد وتقويم..... ....

خاتمة..... ....

قائمة المصادر والمراجع..... ....